 https://doi.org/10.12816/0060289

Features of Social and Economic Life in Hail during the Second Half of the Thirteenth Century AH Through Traveler Texts 1300-1250 AH/ 1835-1883 AD

Maha Saed Saad alyzedy
College of sharia and Law
Jouf University
dr-maha-s-s@hotmail.com

Received : 22/10/2020 Accepted :23/12/2020

Abstract:

There have been many European trips to the Arabian Peninsula, most of which were funded by the travellers' governments for informational and exploratory purposes; they are distinguished by accurate description and observation.

They were involved in recording their observations about what they had seen in the Arabian Peninsula, so European trips were considered a sound historical source, and travel books presented a huge wealth of knowledge as a mixture of anthropology, history, geography, politics, and biography

The Hail region in the north of the Arabian Peninsula was visited by travelers who paid great care to the area in their writings, given the political importance it had, and the geographical location that is central to several regions. Throughout ages, it has established commercial stations for its occurrence in the way of caravans of pilgrimage and trade between Iraq and Hijaz.

The region was visited by seven European travelers in the second half of the thirteenth century AH (nineteenth century AD). These travellers paid attention to the region in their writings, and provided a lot of information about it in their books and reports. Because the social and economic aspects did not receive adequate attention from researchers, which contribute to revealing some facts and analyzing their events scientifically, I chose the title of this study as thus.

Keywords : Hail, Travelers, Social Life, Economic Life.

ملامح من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في حائل إبّان النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري من خلال نصوص الرحالة 1250-1300هـ / 1835-1883م

مها بنت سعيد سعد اليزيدي
كلية الشريعة و القانون
جامعة الجوف
dr-maha-s-s@hotmail.com

الاستلام: 2020/10/22 القبول: 2020/12/23

الملخص:

لقد تعددت الأسفار والرحلات الأوروبية إلى الجزيرة العربية، والتي كان أغلبها بتمويل حكومات بلادهم؛ لأهداف استعلامية واستكشافية، مما جعلها تتميز بدقة الوصف والملاحظة، فقد انخرطوا في تسجيل ملاحظاتهم حول ما قد رأوه في الجزيرة العربية، لذلك عُدّت الرحلات الأوروبية مصدرًا من المصادر التاريخية، فكتب الرحلات قدمت ثروة معرفية ضخمة كونها مزيجًا من علم الأنثروبولوجيا، والتاريخ، والجغرافيا، والسياسة، والمعرفة، والسيرة الذاتية. ومنطقة حائل في شماليّ الجزيرة العربية حظيت بزيارة الرحّالة الذين خصوها بعناية كبيرة في كتاباتهم؛ نظرًا للأهمية السياسية التي كانت تحظى بها، والموقع الجغرافي الذي يتوسط مناطق عدة، حيث قامت فيها على مر العصور محطات تجارية لوقوعها في طريق قوافل الحج والتجارة بين العراق والحجاز، حيث زار منطقة حائل في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري– التاسع عشر الميلادي، سبعة رحالة من الأوروبيين خصوها باهتمام في كتاباتهم، وقدموا الكثير من المعلومات عنها، إما في كتب نشروها، أو في تقارير خاصة قدموها إلى بلدانهم، ولأن النواحي الاجتماعية والاقتصادية لم تحظَ بالاهتمام الكافي من الباحثين، وبما يساهم في كشف بعض الحقائق، وتحليل أحداثها تحليلًا علميًّا، فقد اخترت البحث في هذا الموضوع.

الكلمات المفتاحيّة: حائل، الرحالة، الحياة الاجتماعية، الحياة الاقتصادية.

المقدمة:

لقد تعددت الأسفار والرحلات الأوروبية إلى الجزيرة العربية واختلفت من حيث المدة الزمنية، وأغلبها كان بتمويل حكومات بلادهم لأهداف استعلامية واستكشافية؛ مما جعلها تتميز بدقة الوصف والملاحظة، فقد انخرطوا في تسجيل ملاحظاتهم حول ما قد رأوه في الجزيرة العربية، سواء أكان في المجال السياسي، أم الاقتصادي، أم الاجتماعي والعمراني، أم الديني والثقافي، لذلك عدّت الرحلات الأوروبية مصدرًا من المصادر التاريخية، فكتب الرحلات قدمت ثروة معرفية ضخمة كونها مزيجًا من علم الأنثروبولوجيا، والتاريخ، والجغرافيا، والسياسة، والمعرفة، والسيرة الذاتية.

ومنطقة حائل في شماليّ الجزيرة العربية، حظيت بزيارة الرحالة الذين خصوها بعناية كبيرة في كتاباتهم؛ نظرًا للأهمية السياسية التي كانت تحظى بها، إضافة إلى أهمية موقعها الجغرافي الذي يتوسط مناطق عدة، حيث قامت فيها على مر العصور محطات تجارية لوقعها في طريق قوافل الحج والتجارة بين العراق والحجاز.

وقد زار منطقة حائل في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري– التاسع عشر الميلادي، سبعة رحالة من الأوروبيين[1]، خصوها باهتمام في كتاباتهم، وقدموا الكثير من المعلومات التي تصف جغرافيتها، وتؤرخ الأحوال السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وتركيباتها السكانية حاضرة وبادية، إما في كتب نشروها، أو في تقارير خاصة قدموها إلى بلدانهم، ولأن النواحي الاجتماعية والاقتصادية لم تحظَ بالاهتمام الكافي من الباحثين، وبما يساهم في كشف بعض الحقائق وتحليل أحداثها تحليلًا علميًّا، أحببت أن يكون عنوان البحث في هاتين الناحيتين. وتهدف الدراسة إلى خدمة التاريخ الاجتماعي في شبة الجزيرة العربية، وبيان الوضع الاجتماعي والاقتصادي في منطقة حائل خلال الفترة الزمنية المحددة للدراسة، والاستفادة من المشاهدات والنصوص التي دونها الرحالة الذين زاروا منطقة حائل، وعليه سوف تكون الدراسة على النحو الآتي:

- **التمهيد** ويشمل: الموقع الجغرافي لمنطقة حائل.
- **الحياة الاجتماعية** وتشمل: (السكان– الدين والثقافة– العادات والتقاليد– العمران).
- **الحياة الاقتصادية** وتشمل: (الزراعة والرعي– الصناعة– التجارة وقوافل الحج).
- **الخاتمة** وتشمل النتائج.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على النصوص التي دونها الرحالة الأوروبيون الذين زاروا منطقة حائل في النصف الثاني من القرن 13هـ / 19م، وتقوم منهجية الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وقراءة

النصوص، واستنباط المعلومات الخاصة بالبحث مع مراعاة تسلسل الأحداث، ومقارنتها بالمصادر التاريخية الأخرى، وتحليلها بأسلوب علمي.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات حول الرحلات الأوروبية في شبة الجزيرة العربية بشكل عام، ومنها الدراسات التي لها صلة بالموضوع، حيث تناولت دراسة مدن شماليّ الجزيرة العربية، دون التركيز على منطقة حائل أو التعمق فيما تم تدوينه عنها من مشاهدات الرحلات، وتعدّ دراستهم ترجمة ونشرًا لهذه الرحلات، ومن أبرزها:

- حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة [*]، وقد تناول بعض الرحالة الذين زاروا شماليّ الجزيرة العربية.
- عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية [*],وتعد دراسته ترجمة ونشرًا لما تم تدوينه في كتب هؤلاء الرحالة.
- ياسمين كامل، جغرافيّة منطقتي الجوف وحائل في كتابات الرحالة الفرنسيين[*]، وهذه رسالة ماجستير بقسم الجغرافيا، وتتناول الجوانب الجغرافية في منطقة حائل من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين.

وتتميز الدراسة الحالية بتسليط الضوء على النواحي الاجتماعية والاقتصادية من خلال الرحالة الأوروبيين، الذين زاروا منطقة حائل خلال فترة الدراسة المحددة، وعددهم سبع رحالة، ومعالجة ما تم تدوينه في هذه النواحي بالتفصيل، وهذا لم يوجد في الدراسات السابقة.

أولًا: الموقع الجغرافي لمنطقة حائل:

جاء اسم حائل من اسم الوادي الذي تقع عليه وهو وادي حائل المشهور في بلاد الجبلين أجا وسلمى[2]، والذي يسمى وادي الأديرع[3]، وكانت تحمل آنذاك اسم قرية حائل، ثم حذف اسم القرية واكتفى باسم حائل؛ لأنها من أشهر مستوطنات هذا الوادي[4].

وحائل تقع في الجزء الشمالي من هضبة نجد[5]، وعند خط الطول (30–41) شرقًا، وخط العرض(33– 27) شمالاً[6]، وتتربع على السطح الشرقي من سلسلة جبال أجا ممتدة بانحدار تدريجي نحو الشرق حتى تحتضن جبل سمراء[7]، مما أكسبها جمالًا يلفت انتباه القادم إليها من الشرق أو الشمال أو الجنوب[8]، وتعلق الليدي آن بلنت (Lady Anne" Blunt) على روعة معالم جبل شمر وتصفها بالغريبة في رحلتها عام (1296هـ/1879م) وتقول: "ويصرح ولفرد (Wolfred) أنه سيموت الآن سعيدًا حتى لو قطعت رؤوسنا في حائل، وإنها لقاعدة مطردة ومفضلة، لديه إن كل مكان هو مثل أي مكان آخر تمامًا إلا جبل شمر، فلا شيء يشبهه على الأقل فيما شاهدت في هذا العالم إلا أن يكون جبل سيناء، وهو الأجمل من ذلك[9]".

وحائل أرض فضاء وربوة خصبة تحفها الأودية والشعاب من جميع الجهات[10]، وسميت بذلك نسبة إلى وادي الأديرع؛ لأنه عندما يسيل يحول بين سكان الجبلين أجا وسلمى[11]، مما يؤكد أنها اسم للوادي قول الشاعر:

ولما اتينا السفح في بطن حائل***بحيث تلاقي طُلْحُها وسَيالُها [12]

إن منطقة الجبلين كانت من أقدم العصور العربية ممرًا لمختلف القبائل التي نزحت إليها من أطراف شبة الجزيرة العربية، وسكنتها حتى تزايد عدد السكان بها[13]، وقد كان يطلق عليها مفتاح الصحراء لكونها حلقة وصل ومعبراً رئيساً للمتجهين من الشمال والجنوب[14] ، كما أنها من أهم المحطات الرئيسية على طريق الحج القادم من العراق[15].

وقد أطلق على هذه المنطقة عدة أسماء منها وادي طيء، نسبة إلى قبيلة طيء القحطانية[16]، التي هاجرت من اليمن واستقرت بها بين عامي(245–250م)[17]، وظلت تحمل هذا الاسم حتى ظهرت قبيلة شمر[18] في المنطقة [19]، فصار يطلق عليه اسم جبلي شمر، ثم جبل شمر، ثم إختصر الاسم إلى الجبل في العهد السعودي الأول والثاني، ثم إلى إمارة حائل[20].

ومنطقة الجبلين ذات تاريخ عريق، وتزخر بواحات غنية ومراعٍ خصبة، ومع ذلك ظلت معزولة عن المراكز الحضارية المجاورة بتلك الصحارى التي تحيط بها مثل صحراء الدهناء والنفود[21]، وقد جعلها هذا الموقع بعيدًا عن أطماع ملوك الدول المجاورة، كما حد من أطماع سكان الجبلين في التوسع في إطار الصراع الذي كان يدور سجالًا بين الممالك آنذاك، بل كانوا أكثر ميلًا إلى تطوير العلاقات الثقافية والتجارية، وذلك لموقعهم الإستراتيجي على الطريق التجاري الذي كان يربط بينهما وبين الحضارات المجاورة البابلية والأشورية في العراق والشام، والحضارة الفينيقية التي تتصل بالخليج العربي (الأحساء والقطيف)، عن طريق منطقة الجبلين[22].

أما حدودها فمنهم من يربطها بحدود طبيعية، حيث تقع بين النفود الكبير في الشمال ووادي الرمة من الجنوب، وبين جبال الحجاز في الغرب وصحراء الدهناء من الشرق[23]، وبعضهم الآخر ربط حدودها بأسماء مناطق فيحدها من الجهة الشمالية بادية الشام، ومن الجنوب بلاد القصيم، ومن الشرق الكويت والعراق، ومن الغرب المدينة المنورة[24].

ويتضح أن لهذا الموقع أهمية كبيرة في حياة الإمارة ومواجهتها

---

[*] (الرياض : دار اليمامة ، 1983م).

[*] (منطقة حائل 1845–1921م) (ط1، حائل: نادي حائل الأدبي الثقافي، 1435هـ = 2014م) .

[*] (ط1 ، الرياض: مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، 1431هـ = 2010م).

للصعوبات والمخاطر التي تعرضت لها عبر تاريخها، فالمدينة محاطة بأسوار طبيعية حَمَت المنطقة من الغزوات المحلية والاعتداءات الخارجية [25]، ولم يعتمد سكانها على التحصينات الطبيعية، بل عززوا المنطقة بتحصينات اصطناعية مثل القلاع والأسوار الدفاعية[26]، وقد عبر الرحالة جورج فالين (George Fallen) عن هذا الموقع في رحلته عام (1261هـ/ 1845م) بقوله: "إن موقع هذه المنطقة من أفضل مواقع بلاد العرب، فهي في وسط القسمين الشمالي والأوسط من البلاد المذكورة ومتاخمة لهما، وإلى المسافة عينها تقريبًا من دمشق وبغداد وفي منتصف المسافة بين البحر الأحمر والخليج العربي"، ويذكر أنها أفضل منطقة تصلح للسيطرة على البلدان المجاورة، وأنها أفضل مقام لرئيس الحكومة لو أن بدو نجد والصحارى السورية وسكان البلدان والقرى القليلة المنتشرة في هذه الأرض توحدوا في ظل حكومة واحدة[27]" .

ومنطقة حائل كغيرها من مناطق شبة الجزيرة العربية قبل الحكم السعودي، كانت تعاني من استقلالية البلدان، فكل بلدة لها كيانها المستقل تحت حكم زعمائها المحليين، فحكام الحاضرة هم آل علي من عبده [28]، وفي مطلع القرن الثالث عشر الهجري أصبحت إمارة آل علي تحت الحكم السعودي عام (1201هـ /1786م)[29]، عندما غزا حجيلان بن حمد[30] إمارة جبل شمر بأمر من الإمام عبد العزيز بن محمد، فبايعوه على السمع والطاعة[31].

وفي أواخر إمارة آل علي قامت أحداث تاريخية أدت دورًا في قيام إمارة آل رشيد، حيث استغل هذه الأحداث عبد الله بن علي بن رشيد[32] لصالحه، وقام بتأسيس إمارة آل رشيد[33].

استمرّ عبد الله بن رشيد في الحكم حتى توفى عام (1263هـ/ 1847م)[34]، وله من الأبناء طلال ومتعب ومحمد، الذين تناوبوا على إمارة حائل[35]، حتى عام (1315هـ/1897م)، حيث توفي محمد وخلفه في الحكم ابن أخيه عبد العزيز بن متعب؛ لأنه كان عقيمًا[36].

وقد امتد نفوذ إمارة حائل في عصر ازدهارها وقوتها خارج حدودها الطبيعية، فشملت منطقة واسعة امتدت من النجف في العراق شمالاً[37]، إلى وادي الدواسر جنوبًا، ومن تيماء وخيبر غربًا إلى الخليج الغربي شرقاً[38]، وقد أشارت إلى ذلك الليدي آن بلنت بقولها: "لقد صنع هو وأسلافه اتحاد جميع مشايخ البدو من مشهد علي إلى المدينة تحت قيادته[39]".

ثانيًا : ملامح الحياة الاجتماعية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر:

أ – السكان:

ينقسم سكان منطقة حائل من حيث نمط المعيشة والسكن إلى قسمين هما: البدو والحضر[40]، وهي لا تختلف في التركيب الاجتماعي عن مناطق نجد الأخرى[41] ، حيث إن البدو يسكنون بيوت الشَّعر، وتميزت حياتهم بالتنقل بحيواناتهم ومواشيهم[42]، بينما الحضر يسكنون في بيوت الطين، ومعظمها من طابق واحد[43].

ويرى العيثمين أن نسبة البادية إلى الحاضرة في حائل لم تكن مستقرة، وإنما كانت تتأثر بالظروف المحيطة بها[44]، مثل تفشي المجاعات، وشح الموارد الغذائية، وانتشار الأمراض، وعدم الاستقرار الأمني والسياسي الناتج عن الصراعات[45]، ويشير جورج فالين أن نسبة الحضر أو استقرار البادية كانت في ازدياد ملحوظ[46].

وقد قدر فالين سكان منطقة حائل بحوالي ثلاثة آلاف أسرة، بما لا يتجاوز (20) ألف شخص[47]، ويتفق معه الرحالة وليم بلجريف (William Belgrave) الذي زار حائل عام (1279هـ / 1862م)، حيث يذكر أن عدد السكان لا يزيد على(20) أو (22) ألف نسمة[48]، ثم قدرها الرحالة كارلو غوارماني (Carlo Guarmani) في عام (1280هـ / 1864م) بأن عددهم يبلغ (75) ألف نسمة[49]، وهذا التقدير لا صحة له مقارنة مع تقديرات الرحالة السابقين له ومن زار حائل من بعدهم ، حيث قدرهم تشارلز دواتي(Charles Dwate) "في رحلته عام (1295هـ /1878م)، بأن مجموعهم لا يزيد عن (30) ألف نسمة[50]، ويقل العدد في رحلة شارل هوبير (Charles Hubert) عام (1297هـ /1880م)، بأن عددهم يبلغ في الحد الأقصى (15) ألف نسمة[51].

ونظرًا لعدم وجود إحصائيات دقيقة، تم الاعتماد على تقديرات هؤلاء الرحالة، الذي يبدو عليهم الاختلاف والتذبذب، والذي يرجح أنه ناتج عن طريقة استنتاج التقدير المبني على المساحة وعدد البيوت، حيث يذكر وليام بلجريف أن مساحة حائل ربمًا تحتمل وجود ثلاثمئة ألف نسمة أو أكثر لو كانت منازلها وشوارعها متراصة[52]، وبالنظر في الإحصائيات التي أوردها الباحثون نجد أن عدد سكان حائل في أوج قوتها واتساعها أواخر القرن الثالث عشر الهجري قدر بنحو ثلاثين ألف نسمة[53] .

وهذا العدد يشمل منطقة حائل والقرى التابعة لها والتي تجاوزت في عددها (22) قرية، لم يغفل الرحالة عن وصفها وذكر تعداد سكانها[54]، وتعد هذه القرى بمثابة المنتزهات لكثير من أهالي حائل وضيوفها، حيث وجود كثير من المزارع والبساتين التي تحوي أصنافًا من الفواكه والخضروات[55]، ولعل من أشهر هذه القرى وأكبرها وأغناها قرية قفار التي تقع جنوبي غرب جبل أجا[56]، وقرية جبة التي تقع في النفود[57]، وهي أقرب الحدود إلى حائل[58]، وبها يتزود المسافرون بالماء لأنها غنية بالآبار[59]، كذلك قرية عُقدة التي تقع في وسط جبل أجا[60]، والتي أشادت بها آن بلنت في رحلتها، حيث رأت أنها من أجمل الأمكنة في العالم وأغربها[61].

وعلى الرغم من اختلاف حياة البدو ونشاطهم الاقتصادي عن حياة الحضر، إلا أن هناك عدة روابط فيما بينهم غير رابط القرابة والنسب، حيث يعلق على ذلك فالين بقوله: "غير إن سكان المدن يرون من

مصلحتهم الحفاظ على علاقات طيبة بجيرانهم البدو؛ لأن بعضهم يحتاج إلى عدد كبير من الأبل في أعمالهم، ولما كان الجمل الوحيد الذي يستخدمونه في ري مزارعهم؛ وجب عليهم الاحتفاظ دائمًا بجمل أو أكثر بحسب مساحة البساتين، ويبدلون به جملًا آخر بعد انقضاء ثلاثة أشهر على استخدامه؛ لأنه لا يقوى على العمل المتعب الذي يقوم به في الري أكثر من هذه المدة، والقرويون الذين لا طاقة لهم بشراء جمل للري يستأجرونه من البدو ثلاثة أشهر، والبدو يقبضون بدل إيجار الجمال مقابل عنايتهم بها ورعيها مع قطعانهم مبلغاً من المال، وفي كثير من الأحيان يأخذون كمية من الذرة والتمر، وبهذا يدوم الاتصال والعلاقات الوثيقة القائمة على النفع المتبادل بين فئتي أبناء جبل شمر، مما ساعد كثيرًا على تنمية قوة هذه القبيلة[62]".

إضافة إلى أن بعض سكان البادية يمتلكون مزارع وبساتين في جبل أجا وسلمى، ويقومون بزراعتها في كل عام، أو يوصون بزراعتها سكان الحضر، ثم يأتون في نهاية فصل الصيف لجني الثمار[63]، ومن الروابط الأخرى فيما بينهم ذهاب البدو إلى السوق في حائل لتأمين ما يحتاجون إليه من مأكل وملبس، ويتبادلون البيع والشراء فيما بينهم[64].

ينتمي السكان في حائل إلى عدد من القبائل العربية، فضلًا عن أقلية غير عربية[65]، وأهم القبائل هي : قبيلة طيء[66]، بنو أسد[67]، بنو تميم[68]، حرب[69]، عنزة[70]، بني خالد [71]، والأساعدة من عتيبة[72]، وتُعدّ قبيلة شمر من أهم أفخاذ طيء[73]، بالإضافة إلى قبائل أخرى أشار إليهم الرحالة فالين بقوله: "وهناك أيضًا كثيرون من مطير وسبيع وقبائل أخرى في نجد الشرقية يعيشون مختلطين بالشمر"[74]، كذلك عدد من قبيلة الشرارات، والذي أشار إلى وجودهم الرحالة تشارلز داوتي[75] .

أما أكبر هذه القبائل من حيث عدد أفرادها، فهما قبيلتا شمر وتميم، حيث انتشرت قبيلة شمر في عدد من مناطق الجبل ولكنها تركزت بشكل خاص في منطقة حائل[76]، ومن عشائرها عبدة –سنجارة– الأسلم –التومان– فداغة –الدغيرات– آل ثابت[77]، وقد كانت قبيلة شمر أعظم هذه القبائل وأشدها، وقد زاد نفوذهم عامًا بعد آخر، لذلك أصبحت صاحبة السيادة على المراعي والزعامة في هذه المنطقة[78].

أما بنو تميم فهم من هاجروا إلى منطقة الجبل قبل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، واستقروا في بلدة قفار[79]، وعدد من قرى جبل رمان[80]، ولتزايد أعدادهم بدأ نشاطهم السكاني يتسع، وقد ذكر الجاسر عن ذلك قائلًا: "فمن بلدة قفار انتشرت تلك الأسر في سفوح جبلي سلمى ورمان، وفي وادي السبعان، وقصير غضور، وفي الحفن، والروضة، والمستجدة، والسليمي، وسميراء"[81]، وتتميز قبيلة تميم عن غيرها بأنهم بدأوا بالتحضر في وقت مبكر بالنسبة للقبائل الأخرى، ولهم أثر كبير في جبل شمر من حيث بناء المنازل والقصور، وحفر الآبار، وإقامة المزارع[82].

لقد تأثرت حركة السكان في حائل بعدد من العوامل التي ساهمت في استقطاب النازحين إليها من المناطق المجاورة، وكان من أهم هذه العوامل طبيعة المكان، وخصوبة أراضيها، وتعدد مصادر ثرواتها، إضافة إلى ازدياد قوة آل رشيد، واجتذاب قاعدتهم حائل للتجار وأصحاب المهن زمن إمارة طلال بن عبد الله بن رشيد (1263–1283هـ/ 1846–1866م)، الذي بذل جهدًا كبيرًا في تنمية الحياة الاقتصادية في بلاده[83].

ولقد تناول الرحالة فالين حركة السكان، حيث أشار إلى الانتقال الفصلي من مكان إلى آخر بحثاً عن العشب والماء، وإلى الهجرات لأسباب أخرى مختلفة منها الحروب والمجاعات والتجارة، وقد ذكر أن عددًا كبيرًا من القبائل تفد إلى بلدة جبة في موسم حصاد التمر، وقد رأى أثناء إقامته (150) خيمة من خيام البدو الرحالة منصوبة في السهل المجاور للبلدة، وكان معظمهم من الرولة وشمر، وفيهم أفراد من عنزة وبشر والشرارات والحوازم، الذين كانوا في تحالف مع قبيلة شمر، ويذكر أن حشود البدو الرحالة لا تفارق جبة في جميع الفصول؛ لأن جوارها يضمّ أخصب مراعي منطقة النفود، ولوجود مياه وفيرة بين الجبة والشقيق[84]، وفي موضع أخر يشير إلى قبيلة عنزة التي استقرت في المراعي والسهول الصحراوية، محتفظة بأواصر الأخوة والصداقة التي تربطهم بقبيلة شمر[85].

ويعلق فالين على هذه الهجرات بقوله: "ولهذا أحسب نجدًا وبلاد الجبلين خاصة ذات أهمية عظيمة في تاريخ هذه البقاع من العالم"[86]، وفي موضع آخر يقول: "ونستطيع القول إنه من الطبيعي أن ينزح الحرفيون والتجار إلى القرى المستجدة حيث الأغنياء أكثر عددًا، ونتيجة لمثل هذا النزوح صارت حائل تعد عاصمة المنطقة، وسكانها من مختلف الفئات" [87].

وكذلك أشار إلى ذلك الرحالة وليم بلجريف، حينما تحدث عن رجل صاحب مهنة صناعية اسمه دحيم، حيث قال: "ويجوز عده أنموذجًا لطبقة كبيرة موجودة ضمن سكان وسط نجد .. ارتحلت عائلته من القصيم إلى حائل منذ زمن ليس بالبعيد لطلب الرزق، حيث استقر بهم الحال في حائل، واتخذوها مقرًا لإقامتهم الدائمة، ولكنهم كانوا يحتفظون بالكثير من العادات وطرق العيش المميزة والسائدة في موطنهم الأصلي، ومثل تلك الهجرات أصبحت مؤخرًا شائعة بكثرة، وقد ساهمت بصورة كبيرة في زيادة العدد والقوة العسكرية لإقليم جبل شمر، وفي الوقت نفسه أضافت الكثير إلى ازدهاره الصناعي والتجاري"[88].

بالإضافة إلى ما ذكره الرحالة تشارلز داوتي، حيث قال: "رأيت في حائل بدوًا أجانب كثيرًا، مثل ضفير ومطير الذين كانوا عربًا وديّين خارج حلفه وسيطرته، مع أن ابن رشيد اعتاد أن يتلقى منهم بعض الهدايا السنوية، علاوة على ذلك فقد وصل إلى هناك رجال قبائل من العنزة الشمالية الحرة، ومن شمر الغربية، وبعض قحطان المهجرة التي تتجول الآن في القصيم"[89].

ومن الفئات الأخرى وجد في حائل التجار من خارجها، الذين استقروا بها استقرارًا دائمًا، ومن هؤلاء تجار شيعة من العراق، وقد عادوا إلى الدين الصحيح[90]، ومن أمثلة التجار تاجر اسمه عبد الله المسلماني[91]، كان قد كسب ثقة عبيد بن علي بن رشيد، حتى كون ثروة كبيرة وتزوج امرأة من حائل وأنجب منها ولدين، وكان يملك بيوتًا وبساتين في بلدتي قفار وعقدة[92].

بالإضافة إلى وجود أسر عريقة من النجف في العراق، هاجرت واستقرت في حائل لممارسة التجارة والحرف المختلفة، وعرف الحي الذي يسكنون فيه بحي المشاهدة نسبة إلى المشهد (النجف)، ومن هذه الأسر، أسرة آل مرزة – آل معلاّ – السنابلة – آل عبود – آل الحبوبي، ومن هذه الأسرة الشاعر محمد سعيد الحبوبي الذي هاجر مع أبيه وعمه إلى حائل حوالي عام (1280هـ/1863م)، وهو في الخامسة عشرة من عمره[93].

أيضا من الفئات فئة العبيد الذين كانوا يسكنون في الجزء الشمالي الغربي من المدينة[94]، وقد وصفهم وليم بلجريف بقوله: "والزنوج الذين يرتدون الملابس الزاهية، إذ إن الزنجي شديد التأنّق في ملبسه ومظهره حينما يكون في استطاعته أن يتحمل نفقات ذلك" [95].

ولقد قسم السكان في حائل إلى عدة أحياء سكنية، وأبرز هذه الأحياء ما ذكرها الرحالة شارل هوبير، حيث قال: "يتألف وسط حائل اليوم من اثني عشر حيًّا أو سوقًا وهي: برزان– لبدة – الجبارة – الجراد– الجديدة– سماح – العبيد – الخنقة – وربيعة –سويفلة – الخريم– مفيضة، وسماح والعبيد كانا الأخيرين في الإنشاء، العبيد وكما يشير اسمه يسكنه عبيد سود كليًّا ويعود للأمير"[96]، وفي موضع آخر يذكر: "في حائل يأخذ الطريق الذي يمر أمام منزل جار الله الحميد الجزار، إلى حي يعرف بسوق الجراد الذي يقسم المدينة إلى قسمين، يسكن القسم الجنوبي من المدينة وفيه سوق حي لبدة قوم القوعة، ويسكن القسم الشمالي منها، وفيه حي برزان قوم الريشان" [97].

أقدم هذه الأحياء وأكثرها عددًا بالسكان حي لبدة[98]، وأغلب رجال الإمارة، وعلماء جبل شمر وقضاته من أهالي هذا الحي[99]، ويليه حي مفضية من ناحية النفوذ، فأهل هذا الحي متميزون بالشجاعة والإقدام والبسالة، وفيه يوجد قصر الوشيقي قصر إمارة آل علي[100]، ثم حي برزان نسبة إلى القصر الذي أسسه الأمير محمد بن عبد المحسن آل علي، وأصبح فيما بعد مقرًّا لإمارة آل رشيد[101]، وقد سمي بذلك لبروزه عن مساكن آل علي السابقة[102]، ويضم هذا الحي ثلاثة أقسام:

- **القسم الأول:** يضم بيت الأمير وأولاده وأقربائه والكتبة والأعوان.
- **القسم الثاني:** يضم نقاوة الرجال وصفوفها وهؤلاء مع الأمير دائمًا لاعتماده عليهم في المشورة والرأي.
- **القسم الثالث:** يضم من اختصهم الأمير لنفسه لشجاعتهم وفروسيتهم، وقد جهزوا بالخيل الأصيل والأسلحة الجيدة، وهؤلاء من الأحرار والعبيد، وقد سمي هذا القسم بمنقية الحرب[103].

وقد وصف وليم بلجريف علاقة السكان مع بعضهم بعضًا بقوله: "والجميع يجلسون في إخاء عربي أصيل ومساواة، [وقد] اختلط بعض البدو مع البقية، بينما شمر وهم متصلون بعلاقات قربى للعديد من سكان البلدة [فَهُم] نوعًا ما أكثر تهذيبًا لاتصالهم المستمر مع العالم المتحضر"[104].

ب – الناحية الدينية والثقافية:

كان مجتمع حائل في تلك الفترة مجتمعًا محافظًا على تقاليده العربية الأصيلة المثقفة بشكل عام مع تعاليم الدين الإسلامي، ولكن المستوى الديني والثقافي في هذه المنطقة كان منخفضًا، بالمقارنة مع ما كان سائدًا في كثير من المناطق النجدية[105]، لكن كان يشهد لأهالي حائل بالحفاظ على الأمور التي تتعلق بتطبيق شعائر الدين، وكانوا أنصارًا لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث وصف ذلك الرحالة فالين وذكر: "ومنذ بدء الدعوة الوهابية والشمر أبطالها وأتباعها المخلصون وأن الشعب مخلص لعقائد الدين وتعاليمه ... وأن الأفراد يمتثلون لفرائضه الصارمة المتعلقة بالطقوس الظاهرة، وبالحياة والعادات البسيطة التي نصت عليها هذه الفرائض"[106].

ويعلق أن الأمراء كانوا أشد حرصًا على جمع الناس لصلاة الجمعة، ويعاقبون من لا يحضرها عقابًا أليما[107]، ولهذا تجد في كل حي من الأحياء في حائل مسجدًا صغيرًا يجتمع فيه الناس لصلاة الجماعة[108]، بالإضافة إلى الجامع الكبير الذي تصلى فيه صلاة الجمعة بحضور أمير البلدة[109]، وكان إمام هذا الجامع يعينه الأمير، ويؤدي له مرتبًا وله عدة مهام أخرى، منها إبداء الحكم الشرعي في القضايا التي يحيلها إليه الأمير خلال مجلس الصباح والعصر[110].

ويعلق الرحالة كارلو غوارماني: "بأن تعصب المسلمين شديد في تلك المناطق ... وأن سكان الجبل لا يستقبلون المسيحيين ولا اليهود لأنهم متعصبون لأبعد الحدود"[111]، كما أشار الرحالة هوبير بأن حمود العبيد قد هاجم بشدة أعمال الرسم والتصوير التي يقوم بها المسيحيون ويراها محرمة[112].

كذلك كانت النساء في حائل يحافظن على أداء الصلوات في المساجد، وقد وصف ذلك الرحالة فالين بقوله: "والنساء يؤدين صلاة الجمعة مصطفات خلف المصلين، ومن اللائق أن يؤدين صلاة الجمعة وحدهن في المنازل، والمرأة الوهابية دقيقة في تأدية فرائض الدين، وعرفت أن أكثر النساء في جبل شمر والجوف يصلين الصلوات الخمس في مواقيتها بانضباط شديد"[113].

ولقد اتخذت بعض هذه المساجد أماكن للتعلم، حيث كان المسجد هو المدرسة الذي يجتمع فيه طلاب العلم مع العلماء، ويتلقون العلوم الشرعية وغيرها[114]، وقد ذكر تشارلز داوتي أن في حائل أربع مدارس نظامية، ويقصد بالمدارس أماكن التعليم في المسجد، وهي ليست

مدارس نظامية[115]، وأبرز المساجد التي تعقد فيها مجالس العلم مسجد لبدة ومسجد برزان[116].

ويصف الرحالة بلجريف هذه الدروس التعليمية: "ويعقب صلاة العصر بشكل منتظم قراءات بصوت جهوري لفصل أو قسم يتم اختياره من بعض الكتب الدينية التقليدية، ويتبعها في الغالب موعظة قصيرة مرتجلة، أو شرح لما تمت قراءته فيما يتعلق بشعائر الصلاة نفسها، على الرغم من أنها تختلف اختلافًا طفيفًا بين الحنابلة والمالكية في وسط الجزيرة، وتستمر مثل هذه المحاضرات في العادة لمدة عشر دقائق إلى ربع الساعة، ويستمع إليها بسكون ملائم" [117].

بالإضافة إلى أن الأبناء كانوا يأخذون عن آبائهم مبادئ أصول الدين، ويتعلمون في السنوات الأولى قراءة القرآن الكريم، ويحرصون على مجالسة كبار السن ليتعلموا منهم بعض المبادئ، ويصفهم فالين بقوله: " ولم أرَ في العالم كله أولادًا أكثر تعقلًا وأحسن خلقًا وأكثر طاعة لأبيهم من أبناء البدوي" [118].

والجدير بالذكر أن الاهتمام بالكتب لم يكن مقصورًا على شخصيات ذات علاقة مباشرة بالأمور الدينية مثل الإمام والقاضي، وإنما تجاوز هؤلاء إلى أناس آخرين من أهالي منطقة حائل، بل وكانوا يقدرون الكتب، حيث وصف الرحالة تشارلز داوتي ذلك التقدير بقوله: "عندما كانت الشمس تهبط نحو المغيب وضعه على رأسه كعلامة على مدى تقديره العالي للكتاب"[119].

كذلك كان لأهل حائل اهتمام بالشعر العربي وتذوقه، حيث كان الناس رجالًا ونساءً يرتجلونه، ويحفظ الكبير والصغير قصائد كثيرة، واشتهر فيهم شعراء كثيرون كان من أبرزهم عبد الله بن رشيد وأخوه عبيد[120].

ج – العادات والتقاليد:

تسود بين سكان حائل عدد من العادات والتقاليد المتعارف عليها، المعتادون على فعلها، ومعظمها تنبع من تعاليم الشريعة الإسلامية والأخلاق العربية الحميدة، ومن أهمها كرم أهالي حائل وطيب نفوسهم[121]، والذي كانا لهما أثر في نفوس الكثير ممن سمع وتعامل معهم، وكانت عاملًا مساعدًا في قدوم العديد من العوائل والأسر إلى المنطقة، بل امتدّ حسن تعاملهم إلى الرحالة الأوروبيين عندما قدموا إلى المنطقة وعاشوا بين الأهالي، وقد أشار الرحالة شارل هوبير إلى تسامح الأهالي والأمراء، فعندما قابله الأمير محمد بن عبد الله بن رشيد عام (1297هـ/1880م)، نهض وقدّم له التحية، وسأله بكثير من الاهتمام والاحترام عن رحلته هل كانت موفقة، وهل لقي مشقة؛ مما جعله يرتاح ويأنس، كما أن معاملة الأهالي له كانت مليئة بالاحترام، فقد ذكر أنه دخل تسعة عشر منزلًا خلال ثلاثة أيام أثناء تجوله في بلدة عقدة، حيث إنه إذا رآه أحدهم يأخذه إلى بيته، ويقدم له القهوة، وطبقًا كبيرًا من الشمام[122].

وقد وصف تشارلز داوتي أهل حائل بقوله: "أهل حائل بشوشون وطيبون مع الضيوف .. وأن القرويّين ذوو مزاج لطيف، يسلون أنفسهم بالتحادث مع الغريب" [123]، ومن شدة كرمهم تذكر الرحالة الليدي آن بلنت أن نارهم دائمًا موقدة، وفناجين القهوة تدار فيها التمر[124].

وقد اشتهر الأمراء من آل رشيد بالكرم، حيث يصف الرحالة كارلو غوارماني كرم الأمير طلال (1263–1283هـ / 1846–1866م) بقوله: "يمتاز طلال بن رشيد بالكرم، إذ يجتمع كل مساء نحو مئة ممن هم في حاجة إلى الطعام في ساحة المسجد –برزان– وينتظرون منادي البلدة ليدعوهم إلى الدخول إلى القصر، حيث يوزع الطعام عليهم جميعًا حتى لو كان عددهم ألفًا، ويشرف الأمير بنفسه على التوزيع"[125]، ويؤيده الرحالة يوليوس أويتنج (Julius Eiting) في رحلته عام (1300هـ / 1883م) إلى الكرم الرشيدي بقوله: "وعادة ما يأكل يوميًّا في القصر ما بين (150 – 200) شخص، ويتكوّن الأكل عادة من لحم الخراف، والأرز المجلوب من العراق، وهناك أيام يتم خلالها إطعام ما بين (300 – 1000) شخص عدة أيام متواصلة؛ وذلك عند الاستعداد للقيام بغزوة، أو عندما تمر قافلة حج"[126]، ومن عاداتهم أيضًا تقديم وجبة الطعام صباح يوم العيد في الشوارع[127].

وعرف عند أهل حائل العديد من الأكلات الشعبية أهمها الأرز السليق المطبوخ باللحم، حيث ورد العديد من نصوص الرحالة التي تشير أن وجبة الأرز، والذي يطلق عليه التمن، هو الوجبة الرئيسة في حائل[128]، ومن ذلك ما ذكره الرحالة تشارلز داوتي: "ووجبتهم ذات قيمة غذائية، لحم مسلوق على مزيج من التمن مع الزبدة المتبلة بالبصل ونوع من الكاري والبهار الهندي[129]، بالإضافة إلى وجبة الجريش والمرق[130]، حيث ذكر يوليوس أويتنج في رحلته حينما حضر وليمة في بيت الإمارة فقال: "تضمنت الوليمة عدة أطباق شهية إلى جانب الأرز واللحم، الذي كان الأمير يقطعه بأصابعه ويضعه أمامنا، كان هناك خبز فطير ممتاز ونوع من المرق"[131]، إلى جانب طبق من الفاكهة والخضروات[132].

أما وجبتهم في الإفطار فكانت تحتوي على طبق من التمر والزبد الطازج، وحليب النياق مع العسل والعنب[133]، وخبز التنور أو الصاج[134]، وقد كانت من عاداتهم الفطور بعد شروق الشمس مباشرة، وعند الظهر يتناولون التمر[135].

ومن النباتات الفطرية التي وجدت في حائل واشتهر أهلها بأكلها نبات الكمأ أو الفقع[136]، الذي يظهر بعد شهر من هطول الأمطار في شهري أكتوبر ونوفمبر، حيث ينبت في السهل بين جبال أجا وسلمى والسمراء، ويؤكل مع الخبز أو الأرز بعد أن يقشر ويغسل ويغلى بالماء، وأحيانًا يشوى في الرماد[137]، وقد يأكلون لحم الصيد مثل: الأرانب، والوبر، والنعام، والغزلان، والطيور الداجنة [138]، وكانوا يستخدمون بعض المكسرات والحلويات التي يحضرونها من العراق[139].

ويعلق تشارلز داوتي عن آداب الطعام في حائل فيقول: "ومن آداب الطعام لديهم عبارة (مَدّ يدك)، هي دعوة العرب، ومع عبارة بسم الله يبدؤون الأكل بأصابعهم، يجلسون على اللحم مدة لا تزيد عن ثماني أو عشر دقائق، عندما يشبعون تمامًا يقدم العبد عندئذ القصعة ويشربون قليلًا من الماء، وهم ينهضون يقولون الحمد لله، وينصرفون لغسل أفواههم وأيديهم ويستخدمون الصابون المبشور .."[140].

أما عادات أهل حائل في اللباس عند الرجال، فنجد أنها تتفاوت بين الرجال العاديين وميسوري الحال[141]، ولكنهم يشتركون في المظهر العام للباس، والذي يتكون من الثوب والعباءة الصوفية والكوفية[142]، باستثناء العلماء والخطباء الذين كانوا يرتدون الكوفية بدون عقال[143]، وقد وصف ذلك الرحالة كارلو غوارماني، حيث ذكر: "يتكون لباس الرجال من ثوب أبيض كتاني طويل، وعباءة من صوف الماعز، مقلمة بخطوط بنية أو سوداء وبيضاء، وكوفية تثبت بالعقال، وزوج من الصنادل"[144]، وهذا هو اللباس الشائع عند جميع الناس في وسط الجزيرة العربية[145].

ويعلق تشارلز داوتي على لباس الأمراء بقوله: "يرتدي أمراء حائل مثل البدو، ولكنهم يكونون نضرين ونظيفين وفي أفضل هندام، فالسترة الواسعة الطويلة هنا في البلدة تكون مغسولة بيضاء، وعلى أكتافهم توجد العباءة العربية من القماش الصوفي البغدادي الأكثر نعومة، أو من القماش الأسود في أوروبا..."[146]، وقد وصف كارلو غوارماني لباس الأمير طلال بن عبد الله (1263–1283هـ/ 1846–1866م) بقوله:" يرتدي الأمير عباءة حساوية بنية ورقيقة جدًا، وكوفية بغدادية، وعقالًا مربوطًا بالحرير وبخيوط ذهبية، ومعطفًا من قماش أخضر داكن، وثوبًا أبيض طويلًا"[147]، "وكانت ملابسه معطرة بالمسك لدرجة يستسيغها الأنف العربي أكثر من الأوروبي"[148].

كذلك يصف كارلو غوارماني لباس الخدم من العبيد بقوله: "وجلس نحو عشرين عبدًا في شكل نصف دائرة، وكلهم بلباس حسن، وعباءات سود ناعمة، ومعاطف من قماش أحمر وأزرق موشاة بخيوط ذهبية، ويحملون بأيديهم مثل الأمير وأتباعه سيوفًا في أغماد فضية"[149]، ويرى وليم بلجريف أنهم أنيقون فثيابهم بيضاء، وعباءاتهم سوداء نظيفة، وأن هذا الملبس يميز العاملين في خدم القصر بين الحضور"[150].

أما النساء فقد وصف لباسهن الرحالة كارلو غوارماني بقوله: "والنساء يلبسن ثوبًا أزرق وشمبرًا – ثوب طويل من الرقبة إلى القدمين– أو حجابًا أسود كبيرًا من الحرير يغطي الوجه، وعباءة سوداء أو بنية تغطي الجسم من الرأس حتى القدم"[151]، ويعلق تشارلز داوتي على المرأة الحائلية المحجبة بقوله: "فوجوه نسائهم التي خلقها الله لأجل بهجة العالم البشري، يجري تحويلها إلى هذا الرعب الغيور، ولا يشاهد شيء من زوجاتهم المحجبات بالأثواب الكئيبة سوى اليدين"[152].

ولأهل حائل عادات أخرى تتعلق بالزواج والأبناء منها: ما ذكره الرحالة شارل هوبير عن المهر فقال: "يبلغ صداق الفتاة البكر أو المرأة بشكل عام حوالي ريالين –الريال الفضي الفرنسي–، وقد يكون أربعة ريالات أو ستة أو ثمانية، لكن الحد الأقصى لا يتجاوز عشرة ريالات، ولا يبحث الأزواج في حلائلهم عن الجمال أو الأخلاق بل عن القوة الجسدية، إذ عليهن تسلق الجبال لجلب العلف والحطب، وحمل ما يجمعنه إلى حائل ليبعن الحمل بثلاثة دراهم أو أربعة؛ ليشترين ما يقمن به"[153]، وقد يكون الرحالة محقًّا في ذلك نظرًا لصعوبة الأعمال التي يقمن بها النساء في تلك الفترة نتيجة طبيعة البيئة الصحراوية، وقد يتصاهر أهالي حائل مع بعضهم باستثناء بعض العوائل[154]، حتى الأمراء يتزاوجون مع البدو[155]؛ مما يدل على تواضعهم.

ويشير الرحالة شارل هوبير أن أهالي حائل لا يحتفلون بولادة الطفل، وإنما احتفالهم يكون عند ختان الولد والذي يكون بين عمر سنتين إلى خمس سنوات، وأن الاحتفال بالختان يتفاوت بين الأسر حيث يقول: "يقوم الصانع حسن واحد من أصدقائي من موقق بعملية الختان في حائل، بالإضافة إلى هذا العمل يقوم الموقق بالتطعيم والفصد، ويدفع له الناس العاديون نصف مجيدي –عملة عثمانية مسكوكة من الفضة– أو ربع مقابل عملية الختان، ويدعونه إلى وليمة الختان التي تقام للأهل والأصدقاء عند الغداء، أما الميسورون فيذبحون من واحدة إلى ست وأحيانًا ثمان ذبائح للمناسبة، وما يزيد من هذه الوليمة يوزع على الفقراء، ولا يكون للطفل أية مناسبة احتفالية بعد الختان إلا عندما يذهب إلى المدرسة ويحفظ القرآن، وعندئذ يكون الطفل في سن الثانية عشرة أو الرابعة عشرة، وفي هذه المناسبة تذبح المزيد من الذبائح وتقدم على العشاء، ومن تلك اللحظة ينال الشاب شرف شرب القهوة بحضور الضيوف" [156]، وكانوا في احتفالاتهم يستخدمون الألعاب النارية "المفرقعات "[157]، ويضعون البخور في المداخن الموضوعة عند الأبواب[158].

ومن عاداتهم أن الطفل يأكل في الأشهر الستة الأولى من ولادته القليل من السمن والسكر كل ليلة، وبعد هذه الأشهر الستة يعطى كل ليلة القليل من الخبز والأرز المطحون، وبعد العام الأول يأكل طعامًا صلبًا، ويفطم في الثانية من عمره[159].

د – الناحية العمرانية:

من خلال نصوص الرحالة عن حائل، نلاحظ أنهم لم يغفلوا الجانب العمراني، حيث قدموا وصفًا للمنازل وأدوات بنائها، ومما تتكون[160]، حيث أشاروا إلى غرف القهوة والمضيف[161]، والتي تعد أهم غرف المنازل في حائل، وتحيط بها البساتين كثيفة الأشجار[162].

ومن ذلك ما ذكره الرحالة فالين، حيث يقول: "وأكثر البيوت من طبقتين غرفها قليلة ولكنها فسيحة ومريحة، ولا يدخلها النور إلا من الباب، ومن كوات صغيرة في الجدران تحت السقف مباشرة، وفي كل بيت

دون استثناء مقهى منفصل عن المبنى ويواجه البستان، أو هو في وسطه لاستقبال الضيوف، وفيه تجتمع الرجال لتبادل الأحاديث والنظر في الأعمال، ويحيط بأرض كل بيت سور غير أن مساحة القرية الفسيحة تجعل إحاطة الأرض بالأسوار أمرًا مستحيلًا على أكثر السكان، وينيخ المسافرون جمالهم في ساحة فسيحة تسمى مناخًا، تحيط بها مبانٍ صغيرة وغرف هي زرائب تشبه بعض الشبه الخانات الفارسية"[163]، وعلى ذلك يعلق تشارلز داوتي بقوله: "معظم البيوت في حائل مبنية بشكل جيد جدًّا مع أن المادة بدائية، فقد بنى جدارًا مزدوجًا مع نافذة بابية في كل واحد لتدع الضوء يمر"[164].

كانت البيوت تبنى من الطين الذي ينقل على ظهور الحمير من أماكن معينة من خارج مدينة حائل، ومن أجل أن يكتسب القوة المطلوبة كانوا يسقونه بالماء مدة من الزمن بواسطة الدواب، ثم يتم البناء على شكل عروق بعضها فوق بعض، وفي بعض الأحوال يضيفون قشور حبوب القمح إلى الطين لتقويته، ويتم تسقيف البيوت بخشب الأثل وفوقها سعف النخل بعد تجريده من أوراقه، والخوص والأثل متوفران في المنطقة[165].

ويضم البيت حجرة أو غرفة للقهوة، والتي تظل مفتوحة طيلة اليوم لاستقبال الضيوف، ومزودة بقدور القهوة العملاقة في موقد صلصالي مثل فرن الحداد[166]، وقد علقت الرحالة أن بلنت عليها قائلة :" حجر القهوة تظل مفتوحة طيلة اليوم ووصول ضيف إشارة لهذين الشكلين من أشكال التسامح اللذين لا يعرف سواهما، القهوة والحديث، والنار موقدة دائمًا وفناجين القهوة تدار فيه بالتمر"[167].

بالإضافة إلى وجود بيوت الضيافة والتي قام ببنائها أمراء حائل، وقد وصفها الرحالة كارلو غوارماني، حيث ذكر: "لقد بنى الأمير طلال عددًا من بيوت الضيافة المتشابهة، وتتألف من حوش أو فناء للجمال والخيول، وغرفة لها مدخل بلا باب لاستقبال الزوار واحتساء القهوة، وغرفة أصغر للنوم، وهذه لها باب مصنوع من جذوع النخيل، ولها قفل ومفتاح من الخشب والغرفة مجهزة بالحصائر والسجاد والمساند"[168]، وكانت هذه المنازل تضاء بمصابيح الزيت أو مصابيح الشموع[169].

وكانت هذه البيوت تزخرف بالرسوم والأشكال، حيث يشير إلى ذلك تشارلز داوتي، ويقول: "قد بنى هذا البيت الطيني الجديد وزخرفة بكل ما أوتي من مهارة الصانع، فعلى الجدران الترابية المطلية بالمغرة، كانت رسوم الطيور والأزهار وآيات من القرآن في زخرفة بيضاء من الجص الذي يوجد في كل مكان في رمل الصحراء"[170].

ثالثًا: ملامح الحياة الاقتصادية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر:

يعتمد السكان في حائل في حياتهم الاقتصادية على عدة عناصر ساهمت في إيجاد أوضاع اقتصادية غير سيئة، ولعل أبرز هذه العناصر الزراعة، والتجارة، والرعي، والصناعة، وقوافل الحجاج، وغنائم الغزو وجمع الزكاة[171]، وتتفاوت هذه العناصر من حيث إسهامها في اقتصاد البلاد بحسب الظروف التي تواجهها.

أ – الزارعة والثروة الحيوانية:

امتازت حائل بموقعها الحيوي من حيث المناخ المعتدل نسبيًّا في فصل الصيف، وسقوط الأمطار في فصلي الخريف والشتاء[172]، مما ساهم في صلاحية التربة ووفرة المياه من ينابيع وآبار، حيث وجد في حائل الكثير منها[173]، والتي كانت تستخرج باستخدام الحيوانات وخاصة الإبل لسحب المياه من تلك الآبار[174].

بالإضافة إلى الأيدي العاملة والمتوفرة في حائل[175]، والتي قد اشتهرت بها بعض القبائل في حائل، مثل بني تميم الذين كانوا يفاخرون كونهم مزارعين ولا يمارسون غيرها، وفي وقت الحصاد يجتمع بدو من شمر وعنزة حول قريتهم قفار[176]؛ لبيع ماشيتهم ومنتجاتهم أو بالمقايضة بالتمر والذرة[177].

ومن أهم المحاصيل الزراعية في حائل أشجار النخيل وأشجار الفاكهة والخضروات[178]، وقد تتفوق في بعض تلك المحاصيل على المناطق الأخرى، مثل زراعة اليقطين الكبير الحجم، والقرع، والبطيخ بمختلف أنواعه، ويحتفظون بكميات كبيرة منه لفصل الشتاء[179].

ومن هذه الفواكه والخضروات التين والليمون والبرتقال والرمان والخوخ والكباد والباميا والزعتر وغيرها[180]، ويعلق الرحالة شارل هوبير على زراعة أشجار النخيل بقوله: "ولا أستطيع تخيل كيف يجمع أصحاب البساتين تمورهم من هذا المكان، وفي عدة مواضع منه، [حيث] لا يمكن وصف تساقط الصخور، عند كل فسحة أمتار بين الصخور زرعت شجرة نخل أو أكثر، وفي ثلاثة أماكن ذات مساحات واسعة تتراوح بين مئة متر مربع ومائة وخمسون وجدت بساتين من النخل"[181].

كذلك يفاخر أهل حائل بزراعة الحنطة والشعير والذرة التي تفضل على الذرة المستوردة من العراق بسبب جودتها وامتلائها[182]، ولكن زراعة الشعير والذرة تتأثر بالأمطار ووفرة المياه، حيث يشير الرحالة شارل هوبير إلى ذلك بقوله: "نظرًا إلى غزارة المطر في منطقة عقده؛ فقد سمح الأمير للسكان بالزراعة التي قد منعها خلال السنوات الست الماضية؛ لأن استهلاك الماء في ري حقول الذرة خفف مستوى الماء في الآبار في حائل"[183]، ويعلق أن حقول الذرة والشعير هما الزراعة الوحيدة في حائل، والتي لا يتم زرعها في غير مواسم المطر[184].

ويجدر ذكره أن الزراعة في حائل تعاني من مشكلات أهمها قلة الأمطار أو انقطاعها؛ مما يسبب شح المياه وغور الآبار وضعف الدواب التي تستخدم في استخراج المياه من الآبار، وتسلط الجراد على أكل المزروعات [185]، ويذكر فالين أن الزراعة في حائل تكاد تكون المصدر الوحيد لعيش أهالي حائل[186]، ويكاد المحصول الزراعي يسد

حاجة السكان، أما إذا قحط الموسم فيسد النقص باستيرادها من العراق[187] .

أما الثروة الحيوانية: فتشكل عنصرًا ومصدرًا مهمًّا من مصادر الدخل الاقتصادي في حائل، حيث اعتمد البدو على الرعي كمصدر للمعيشة، ويشتركون فيها رجالًا ونساءً وأطفالًا[188]، ولكنها تتأثر بسقوط الأمطار ونبات العشب، حيث يشير إلى ذلك الرحالة يوليوس أويتنج في رحلته بقوله: "وبمجرد نزول المطر تعود الحياة والنشاط إلى النفود، وتبدأ الأعشاب الخضراء الرقيقة في الظهور في كل مكان، وفي لحظة يظهر البدو مع قطعان الإبل والغنم، حيث يبدأ موسم الاستمتاع بلا قلق بالنسبة إلى سكان الصحراء، ويبدؤون في الاتجاه إلى أي مكان يريدون، فلا قلق عليهم من عدم وجود الماء، فبإمكانهم الآن العيش على الألبان التي أصبحت تفيض، فجاءه على العكس من واقع الحال في فصل الصيف"[189].

وتعدّ الإبل الثروة الحيوانيّة الأهم لأهل حائل؛ لاعتمادهم عليها في التغذية والمواصلات وفي كثير من شؤونهم الاجتماعية والاقتصادية[190]، وقد أشار الرحالة داوتي إلى كثرة الإبل مبالغًا في الوصف، وذلك عندما قدر ما يملكه الأمير عبد الله بن رشيد (1263/1250هـ / 1834– 1846م) من الإبل ما يقارب أربعين ألفًا[191]، ويقوم السكان أيضًا ببيع هذه الإبل في أسواق مكة المكرمة والمدينة المنورة في مواسم الحج[192]، أو تأجيرها وبيعها لأصحاب القوافل التجارية لنقل بضائعهم، أو لقوافل الحجاج، أو للعمل الزراعي لاستخراج المياه من الآبار[193].

وتكثر الأغنام والضأن في حائل[194]، حيث ذكرت الرحالة آن بلنت: "وفي الثالثة والنصف صادفنا راعيًا يسوق أربعين رأساً من الضأن إلى سوق حائل، وهو شيخ شمري من آل الراهس، رأينا خيامه اليوم بعيدة في الشمال الشرقي، وهو ينوي بيع قطيعه للحجاج الفرس الذين يتوقع وصولهم اليوم"[195].

وكانت هذه الأغنام مهمة للسكان من حيث الاستفادة من اللحم واللبن والسمن والصوف[196]، بالإضافة إلى وجود الأبقار والغزلان والخيول[197]، التي تعد من أفضل الأنواع وأجودها وأجملها في حائل، وقد تولع والي مصر عباس الأول ابن طوسون فيها، حيث كان يوفد سنويًّا بعثة لشراء الخيل لإسطبله الكبير في القاهرة، وقد علق عليها الرحالة فالين بقوله: "وفي رأيي أن هذه الخيول تستحق أن توصف بأنها أجمل الخيول العربية الأصيلة وأسرعها، وهي هنا أكثر منها في أي منطقة أخرى زرتها من بلاد العرب، وأكثر الأثرياء يملكون عددًا صغيرًا أو كبيرًا منها"[198].

ب – الصناعة:

وجدت في حائل بعض الحرف والصناعات التي ساعدت في تلبية احتياجات الناس اليومية، وإن كانت هذه الصناعات غير متقدمة إلا أنّ لها أهمية في خدمة المجتمع وانتعاش الأسواق في حائل[199]، كالنجارة والصياغة والحدادة والدباغة والخرازة والمصنوعات الفخارية والحياكة والبناء[200]، ومن أشهر هذه الصناعات التي اشتهرت بها حائل صناعة البنادق والسيوف وزخرفتها، التي كانوا يستخدمونها بمهارة في غزواتهم[201]، وقد ذكر داوتي في رحلته الصانع غانم وأخيه غنيم اللذين اشتهرا بصناعة الأسلحة والمجوهرات: "ودعيت أول مرة إلى عند غانم مجوهراتي الأمير وأخيه غنيم كانا رجلين ثريين من طبقة الحدادين، وهما سابقًا كانوا من الجوف، حيث أفضل الصناعيين بسبب عملهم في المعدن والخشب والحجر في الجزيرة العربية البدوية، فوجد عبيد عند الاستيلاء على المكان أن هذين الرجلين هما الأفضل في حرفتهما، وجلبهما بالقوة إلى حائل .. إنهما مشغولان باستمرار بالعمل لأجل الأمراء في صنع زخرفة مقابض السيوف بسلك من الفضة والذهب، وترصيع أخمص البندقية بقشور لماعة من نفس المادتين، ترسل إليهما كل نصال السيوف، وأفضل البنادق الفتيلة التي تؤخذ في غزوات ابن رشيد من البدو لكي يعاود تركيبها، ومن ثم تخزن في مستودع أسلحة القتال، ومن هذه توضع بعض النصال الفارسية والهندية الجيدة جدًّا في أيدي جنود الأمير"[202]، ويصف يوليوس الصانع غانم: "إن من العجب أنه لا يزال ينجز أشياء جميلة جدًّا عندما رأيته يكنس الشظايا والنجارة من وقت إلى آخر" [203].

كذلك صناعة الحلي ودلال القهوة[204] التي تعتمد على صهر الحديد والنحاس والرصاص[205]، وقرب الماء التي كانت تصنع من جلود الأغنام[206]، وقد وصفها الرحالة وليم بلجريف بقوله: "وتحفظ الماء في قربة جلدية وتعلق على الجدار في الركن الظليل للفناء، ويفتح فم القربة حتى ينساب الماء منها في كوب نحاس بسيط جدًّا، ولكنه قوي من صنع البلدة"[207]، بالإضافة إلى صناعة الأبواب وحواف السقف من شجر النخيل والأثل[208].

بالإضافة إلى صناعة الأدوية والتي أشار إليها الرحالة بلجريف بقوله: "الأعشاب تنمو في الجوار ونباتات كثيرة لها خاصية علاجية منشطة ومهدئة أو مخدرة، وأحيانًا يستخدمها السكان الأكثر دراية وأيضًا لا يخرج عن استخدام الكِمادات والعلاجات ذات الاستعمال الخارجي أو المسكنات"[209].

كذلك النساء في حائل فيُعرفن بحرفة الخياطة، وحياكة الثياب الخشنة، كالعباءات أو المعاطف الصوفية المقلمة والبسط الخشنة وزركشتها[210]، ونظرًا لهذه الحرف والصناعات وجد في حائل سوق يضم المشتغلين بتلك المهن يسمى سوق الصناع[211]، وهناك ساحة مفتوحة توجد فيها حفرة كبيرة خلف بستان قصر الأمير يستخدمها الجزارين كمسلخ "[212].

ج – النشاط التجاري وقوافل الحج:

كان لتنوع النشاط السكاني في حائل أثر في ظهور حركة التجارة بها، والتي انقسمت إلى قسمين، هما: تجارة داخلية وتجارة خارجية، فالتجارة الداخلية تقوم على تبادل البيع والشراء بين المنتج والمستهلك داخل نطاق حائل، والقرى القريبة والتابعة لها[213]، وقد وصفها شارل هوبير بقوله: "أما جنوبًا على مدّ النظر شمالاً وغربًا تتناثر خمسون خيمة تقريبًا لكل قبائل شمر، يأتي هؤلاء الزوار لبضعة أيام لتصريف منتجاتهم وشراء بعض الحاجات ثم يعودون إلى الصحراء، إنهم ينعشون الجزء الخارجي للمدينة بطريقة جذابة"[214].

وقد لاحظ الرحالة دواتي انتعاش سوق حائل وامتلائه بالتجار والبدو المشغولين بتبادل البيع والشراء[215]، أما التجارة الخارجية فهي تقوم على التبادل التجاري بين حائل والبلدان المحيطة بالجزيرة العربية، كالعراق وسوريا وفلسطين والأردن ومصر والكويت[216]، حيث يقوم تجار حائل باستيراد المنتجات الغذائية والسلع الاستهلاكية، وتصدير بعض المنتجات المحلية[217].

وتعد علاقة حائل التجارية مع العراق أوسع وأعمق من غيرها[218]؛ لقرب موقعها، ورخص أسعار بضائعها مقارنة مع البلدان الأخرى[219]، ومن أهم السلع التي تستوردها الأرز والذرة[220]، والقهوة[221]، والأقمشة والعطور وبعض الأواني المنزلية[222]، وإلى ذلك يشير شارل هوبير بقوله: "طلب مني مرافقته لزيارة عمران بن سيد موسى الذي وصل قبل عدة أيام من مكة، مع حوالي أربعين نوعًا من البضائع الأوروبية، قطن أبيض، أقمشة قطنية، أدوية، شموع، مصابيح الزيوت، فخار، بورسلان، زجاج، عطور.. إلخ"[223].

ومن أهم صادرات حائل الثروة الحيوانية، والتي تتصدرها الخيول، ثم الجمال والماعز والأغنام، ومنتجاتها من السمن والصوف والسروج[224]، وفي ذلك يعلق الرحالة كارلو غوارماني: "وبتجول الباعة باستمرار بين القرى يبادلون البضائع التي جلبت من أجزاء أخرى من نجد ومن عراق العرب والحجاز بالمنتجات المنزلية "[225].

ونتيجة لانتعاش حركة التجارة في حائل وجدت الأسواق، والتي كانت تعجّ بالتجار من داخل حائل وخارجها، ومرتادوها من أهالي حائل والقرى المجاورة، وقد وصف ذلك الرحالة بلجريف: "ومن ثم إلى السوق كان كل شيء فيها يعج بالحياة والحركة، فبعض الدكاكين المليئة بالأرز والدقيق والتوابل أو الب ، وعند الزاوية التي يلتقي عندها تقاطع شارعنا مع السوق جلس ثلاث من النساء القرويات أو أربع، وأمامهن أكوام من البطيخ والقرع والباذنجان والفاكهة ومنتجات أخرى معروضة للبيع"، وفي نص آخر يقول: "كان السوق وقتها قد ازدحم بالكامل بالناس من سكان البلدة ومن القرويين ومن البدو، وبعضهم يجلس أمام أبواب المخازن يساومون أصحابها الموجودين بالداخل"[226].

ولقد كان للنساء في حائل نصيب في ممارسة التجارة، حيث أشار إليهن الرحالة الذين زاروا حائل في عدة نصوص، منها ما ذكره الرحالة وليم بلجريف في النص السابق أعلاه[227]، وأيضًا ما ذكره الرحالة داوتي، حيث قال: "وإلى الأسفل رأيت بائعات محجبات تحت رواق ومعهن سلال حيث يجلسن يوميًّا من شروق الشمس، ليبعن التمر والقرع، وبعضهن يبعن الحلى الرخيصة من الشمال لأجل الحريم "[228].

ومن أشهر الأسواق في حائل خلال فترة الدراسة:

سوق المسحب[229]: الذي وصفه الرحالة فالين بقوله: "وفي الطريق الرئيسة المسماة لبدة عدد من الحوانيت المكشوفة، أصحابها تجار متجولون يأتون من العراق والمدينة والقصيم"[230]، ويصفه داوتي قائلًا: "وقست السوق الذي يمتد من المسحب إلى البوابة الداخلية في اتجاه قفار، ووجدته حوالي مائتي خطوة والدكاكين توجد على الجانبين، وهي عبارة عن مخازن صغيرة للبضاعة مبنية في الخلف، والضوء لا يدخل هذه الدكاكين إلا من مدخلها فقط، يصل عدد الدكاكين إلى ما يقرب من مئة وثلاثين دكانًا"[231]، وبالقرب منه في الطرف الجنوبي يقع المسجد الكبير[232].

سوق برزان: والذي تم إنشاؤه في أواخر القرن الثالث عشر الهجري مقابل قصر الحكم[233]، ويوجد به سوق المشاهدة نسبة إلى مشهد علي "النجف" في العراق، حيث توافد أهالي هذا الحي إلى حائل واستقروا بها[234]، وقد قام بتأسيس هذا السوق برزان الأمير طلال بن عبد الله ابن رشيد (1263هـ–1846م / 1283هـ–1866م)[235]، وقد وصفه الرحالة وليم بلجريف قائلًا: "وتمت دعوة التجار من البصرة ومن مشهد علي النجف ومن واسط وبائعين من المدينة وحتى من اليمن بعروض سخية للحضور، وتأسيس أعمالهم في السوق الجديد لبلدة حائل، وقام طلال بإبرام عقود حكومية مع بعض منهم، وكانت مريحة بالقدر نفسه له ولهم، ومنح بعضهم الآخر امتيازات وإعفاءات، ووفر للجميع كل الحماية والتشجيع ....، وأضاف صفًّا طويلًا من المخازن الملحقة بالقصر، تلا ذلك قيامه ببناء سوق شامل يشمل على نحو ثمانين دكانًا أو مخزنًا تم تخصيصها للتجارة العامة"[236].

ووصف هذه الأسواق بصفة عامة عبارة عن دكاكين مبنية من الطين وسعف النخيل أو أخشاب الأثل[237]، لذا يرى الرحالة داوتي أنها أسواق صغيرة بالمقارنة مع مدن العالم الرئيسة[238]، وكانت هذه الدكاكين تفتح أبوابها من الصباح الباكر، وتغلق الساعة العاشرة صباحًا حتى الثالثة بعد الظهر[239]، وفي ذلك يعلق الرحالة داوتي قائلًا: "عندما تطلع الشمس يخرج المزارعون إلى العمل وفي خلال ساعة تفتح السوق فيصيح الدلالون، السماسرة لكل ما يطرح للبيع جديدًا أم قديمًا سواء أكان ثياباً أم أسلحة من أول الشارع إلى آخره، ويفرشون سلعهم لكل ما يلتقونه، ويدخلون الدكاكين وهم يمضون بهذا الضجيج، فيبيعون للذين يدفعون أعلى الأسعار "[240].

لقد كانت عملية البيع والشراء تتم إما بالدفع نقداً أو بالمقايضة بالتمر والذرة وبعض المنتوجات المنزلية[241]، وقد تتعرض الأسعار إلى الارتفاع والانخفاض حسب مواسم الجفاف والعكس[242]، وقد أشار الرحالة شارل هوبير إلى ارتفاع الأسعار خلال سنتي (1289هـ/1870م و1297هـ/1879م)، حيث يرى أنها كانت الأعلى في السنين الخمس عشرة الأخيرة [243].

ونظرًا للموقع الجغرافي لمنطقة حائل، كانت قوافل حجاج بلاد ما بين النهرين والعراق تسير منها وتمر بحائل، فإذا وصلت إليها استراحت بها ثم واصلت سيرها إلى المدينة المنورة أو مكة المكرمة، وقد كانت استفادة السكان من هذه القوافل مختلفة الجوانب[244]، حيث كانت القوافل تستريح في حائل بضعة أيام في ذهابها وإيابها، وتشتري من المنطقة ما تحتاجه من مؤنة ومستلزمات للسفر[245]، أو قد تستأجر حراسًا وأدلاء يسيرون معهم إلى وجهتهم لأداء مناسك الحج[246]، وفي ذلك يعلق الرحالة يوليوس: "تتطلب الرحلة إلى مكة حوالي ستين يومًا عبر الصحراء العربية، ومعظمها في إقليم أمير حائل، فيرسل الأمير رجاله في الوقت المناسب إلى النجف على نهر الفرات لمرافقة الحجاج الفرس، وتأمينهم إلى المدينتين المقدستين مكة والمدينة، يدفع كل حاج مقابل النقل والماء والحراسة ثلاثين مجيدي في رحلة الذهاب، وإذا ما اختار الحاج العودة بالطريقة نفسها يضاف نصف المبلغ أي أن تكلفة الرحلة ذهابًا وإيابًا خمسة وأربعون مجيدي، يذهب الجزء الأعظم من هذا المال إلى خزينة الأمير"[247]، وإلى جانب ذلك كانت إمارة حائل تفرض على أولئك الحجاج مبالغ معينة مقابل مرورهم بأراضيها[248].

بالإضافة إلى الغزوات[249]، التي كانت تشكل موردًا اقتصاديًّا من موارد الإمارة في حائل[250]، ولا شك أن للقيادة والظروف المحيطة بها دورًا كبيرًا في تحقيق النصر أو الفشل، فحينما تنتهي الغزوة بالانتصار كان يدفع لكل فرد نصيبه من الغنيمة[251]، وفي ذلك يعلق الرحالة يوليوس: "إن الغزو المتبادل بين كافة القبائل من العادات الراسخة، وقوة القبيلة وثراؤها يرتبط مباشرة بمدى تكرار الغزو ونجاحه، وقوة شيخ القبيلة وسطوته تتحقق بهذه الوسائل، وهو يقوم بالتالي بزيادة ثراء أفراد القبيلة، وأعداد الماشية عبر الغارات الناجحة، وبالطبع فإن الغزو يشنّه فقط أولئك الذين ينتمون إلى قبيلة أجنبية أو معادية، أو من أولئك الذين لم تربطهم بهم علاقة ولاء أو تحالف، أو الذين لا يدفعون لهم خاوة[252]، وفي هذا الزمن الذي يحكم محمد بن الرشيد وجماعته الأقوياء وسط الجزيرة العربية، فإن الغزو نادر الحدوث، والذين كانوا فيما مضى مصدرًا للقلق في حدود دولة شمر، أصبحوا خاضعين له ويدفعون له الزكاة"[253].

كذلك تم فرض ضريبة على المدن التابعة للإمارة، مثل فيد والكهفة على الطريق إلى القصيم والجوف، وخيبر وتيماء وغيرها، وقد قدرها الرحالة كارلو غوارماني: "بأن الحضر من سكان الجبل يدفعون عشر إنتاجهم من الأرض، أما البدو من شمر فيدفعون ثلاثة آصُع من السمن عن كل بيت شعر، وخمس مجيدي عن كل بعير، وعشرة قروش عن كل قطيع من عشرين رأس من الضأن أو الماعز"[254].

وهكذا نلاحظ ازدهار الحياة الاقتصادية في حائل، والتي ساهم في ازدهارها عدة عوامل، أهمها موقع حائل كونه ملتقى لقوافل الحجاج والتجارة القادمين من الشام والعراق والمدينة المنورة، ودور أمراء حائل في تقوية الاقتصاد، وجلب التجار، وتبادل العلاقات التجارية بينهم وبين المدن والدول المجاورة.

الخاتمة:

الحمد لله وبفضله انتهيت من إعداد هذا البحث، والذى كان عنوانه ملامح من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في حائل إبّان النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري من خلال نصوص الرحالة، فرغم وجود بعض السلبيات والمبالغات في نصوص الرحالة، إلا أننا لا يمكن أن ننكر جهودهم في وصف المناطق التي زاروها، وتدوين مشاهداتهم، ورصد الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويمكن أن نستنتج الآتي:

- كانت دوافع الرحالة دوافع سياسية خدمة لبلدانهم، وإن كنت لست بصدد ذكرها؛ لأن الهدف من هذا البحث التركيز على الجوانب الإيجابية لهم.
- الفترة الزمنية لهذا البحث تُعدّ من أفضل الفترات التي مرت بها منطقة حائل من ازدهار اقتصادي وانتعاش وأمن سياسي.
- امتازت حائل بموقع جغرافي جعل لها مكانة اقتصادية بين القرى والبلدان المجاورة، إضافة الى أنها على طريق قوافل الحج.
- اشتهر مجتمع حائل بالمحافظة على التقاليد التي تتبع من الدين الإسلامي، وعرف بينهم العديد من العادات والتقاليد التي ميزتهم عن غيرهم من المدن المجاورة، ولعل أشهرها الكرم الحائلي الذي يضرب به المثل.
- كتب الرحلات رصدت الكثير من مظاهر منطقة حائل وأهلها اجتماعيًّا وسكانيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا وعمرانيًّا، وهذا ما وضحه البحث بالتفصيل.

First: Sources:

- Lady Ann Blunt, A Trip to the Countries of Najd, translation: Muhammad Anam Ghaleb (2nd ed., Riyadh: Dar Al Yamamah, 1389 AH = 1978 AD).
- Alois Moselle, on the contemporary history of the Arabian Peninsula, translation: Majid Shubar (London: Dar Al-Warraq, 2007).
- Charles. M . Doughty, Charles Daughty's Travels in Arabia, translation: Adnan Hassan (1st edition, Iraq: Dar Al-Warraq, 2009) .
- George Auguste Fallen, Fallen's Trips to Arabia, translation: Samir Salim Shalaby (Beirut: Dar Al-Warraq, 2008) .
- Hamad bin Laboun, History of Hamad bin Muhammad bin Laboun (1st edition, Taif: Al Madani Press, 1357 AH).
- Khair al-Din al-Zarkali, the peninsula in the reign of King Abdul Aziz (5th floor, Beirut: Dar al-Alam for millions, 1992).
- Charles Hubert, A Journey in the Desert of the Central Arabian Peninsula, 1878-1882, Translation: The Left, His Excellency (Beirut: Dar Kutub, 2003 AD).
- Sharaf Abdul Mohsen Al-Barakati, The Yemeni Journey (2nd floor, Beirut: 1384 AH).
- Abdullah Al-Bassam, his masterpiece, Al-Mushtaq, in Najd, Al-Hejaz, and Iraq News, investigation: Ibrahim Al-Khaled (1st edition, Kuwait: The Controversy, 2001 AD).
- Othman bin Bishr, the title of glory in the history of Najd, by: Abd al-Rahman bin Abd al-Latif al-Sheikh (4th floor, Riyadh: King Abdulaziz House, 1403 AH).
- Ruby of Hamwi, Glossary of Countries (DT).
- Julius Outing, A Journey Into the Arabian Peninsula, translation: Saeed Fayez (Riyadh: King Abdulaziz House, 1419 AH).

Second: References:

- Ahmad Al-Jada ', History and Genealogy of Tamim (Amman: Dar Al-Diaa, 1419 AH).
- Jabbar Obaid, Political History of the Emirate of Hail (1835 - 1921AD) (1st edition, Beirut: The Arab Encyclopedia, 1424AH = 2003AD).
- Hafiz Wahba, Arabia in the twentieth century (5th edition, Cairo: 1967 AD).
- Hamad Al-Jasser, in the northwest of the island (Riyadh: Dar Al Yamama, 1983 AD).
- Hamad Al-Jasser, Geographical Dictionary, North of the Kingdom (Riyadh: Dar Al-Yamamah, 1397 AH).
- Saad Khalaf Al-Afnan, Hail and the Genius of the Place (2nd floor, Hail: Knowledge, 1417 AH).
- Saad Khalaf Al-Afnan, Landmarks of Hail City and its Natural Beauty (2nd floor, Hail: Knowledge, 1426 AH).
- Suleiman Al-Ateeq, Hail one hundred years ago (2nd edition, Hail: Dar Al-Andalus, 1429 AH = 2008 CE).
- Saqr Al-Otaibi, the lineage of the Otaiba tribe (documentary study of its origins and branches) (Lebanon: The Arab Encyclopedia, 2012).
- Abdullah Al-Othaimeen, The Rise of the Emirate of the Rashid family (2nd floor, Riyadh: 1411 AH).
- Aqeel Al-Quwai'i, Sayings and Issues in News of Hail Region (1st Floor, Riyadh: Al-Idiyya Press, 1415 AH).
- Omar Reda as a case, glossary of ancient and modern Arab tribes (7th ed., Beirut: Dar Al Risala, 1414 AH).
- Awad al-Badi, European travelers in the north-central Arabia (Hail region 1845-1921 AD) (1st edition, Hail: Hail Literary Cultural Club, 1435 AH = 2014AD).
- Fahad Al-Arifi, this is our country, Hail (2nd floor, Riyadh: General Presidency for Youth Welfare, 1408 AH).
- Fouad Hamza, the heart of the Arabian Peninsula (1st floor, Port Said, Arab Culture, 1423 AH).
- Meshaal dormitory preferred, civilizational links between Mount Shamer and southern Iraq (2nd floor, Beirut: Tables, 2016 AD).
- Muhammad Al-Hamad, Hail in their eyes (Hail: Hail Literary Cultural Club, 1429 AH).
- Yasmine Kamel, the geography of the regions of Al-Jouf and Hail in the writings of French travelers (1st edition, Riyadh: Abdul Rahman Al-Sudairy Charitable Foundation, 1431 AH = 2010AD).

Third: Scientific Theses and Periodicals:

- Ibrahim Al-Sagheer, Hail Region, Regional Study, Unpublished Master Thesis, Imam Muhammad bin Saud University, 1405 AH.
- Sayer Gharbi Al-Shammari, Political Conditions in Hail during the Reign of Abdullah bin Ali bin Rashid, Unpublished Master Thesis, Qassim University, 1430 AH.
- Abdul Rahman Al-Sbait et al., Hail region (Riyadh: Al-Darah Magazine, Q3, p3, 1403 AH = 1983 AD) .

الهوامش:

[1] رحلة جورج أوغست فالين عام 1261هـ/ 1845م، رحلة وليم بلجريف عام 1279هـ/ 1862م، رحلة كارلو غوارماني 1280هـ/ 1864م، رحلة تشارلز داوتي عام 1295هـ/ 1878 م، رحلة الليدي أن بلنت عام 1296هـ/ 1879م، رحلة تشارلز هوبير عام 1297هـ/ 1880م، رحلة يوليوس أويتنج عام 1300هـ/ 1883– 1884م.

[2] أجا: يقع غرب مدينة حائل ويمتد من الشمال باتجاه الجنوب الغربي، وسلمى يقع جنوب شرقي مدينة حائل ويمتد إلى الشمال الشرقي باتجاه الجنوب الغربي. انظر: فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص14؛ حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، ق2، ص682؛ فهد العريفي، هذه بلادنا حائل، ص11–12.

[3] وادي الأديرع تصغير الأدرع وهو من أعظم الأودية في جبل شمر تصب فيه روافده من الجهة الجنوبية والغربية من سلسلة جبال أجا، ويمر بالقرب من حائل من جهة الجنوب والشرق، ومنها يتجه إلى الشمال الشرقي حتى يفيض في قاع بقعاء. انظر: حمد الجاسر، المرجع السابق، ص548 –494.

[4] حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص33–39.

[5] عبد الرحمن السبيت وآخرون، منطقة حائل، ص57.

[6] عقيل القويعي، أقوال ومسائل في أخبار منطقة حائل، ص13؛ محمد الحمد، حائل في عيونهم، ص8.

[7] جبل سمراء جبل مخروطي الشكل داكن اللون يرتفع قرب البلدة من الشرق. انظر: جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص135؛ تشارلز داوتي، رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص181.

[8] جورج فالين، المصدر السابق، ص133؛ شارل هوبير، رحلة في الجزيرة العربية الوسطى، ص159.

[9] رحلة إلى بلاد نجد، ص177–179.

[10] جورج فالين، المصدر السابق، ص133–134.

[11] وقد وردت لفظة حائل بمعانٍ عدة، منها الناقة التي لم تحمل عامها ذلك أو التي توقفت عن الحمل، كذلك تعني الشيء المتغير اللون. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج22 ص191؛ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج3، ص339؛ سعد العفنان، حائل وعبقرية المكان ص163.

[12] الفيروز أبادي المصدر السابق، ج1، ص238؛ ج3، ص399.

[13] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص97؛ جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب ص169.

[14] ساير الشمري، الأحوال السياسية في حائل في عهد إمارة عبد الله بن علي ابن رشيد، ص23.

[15] يوليوس أويتنج، رحلة داخل الجزيرة العربية، ص106.

[16] طيء: نسبة إلى جلهمة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، ويذكر الحموي سبب تسميته بطيء قائلًا: فسمى طيئًا لطيه المنازل. انظر: معجم البلدان، ج1، ص97، شارل هوبير، رحلة في الجزيرة العربية الوسطى، ص56.

[17] وردت عدة روايات في سبب هجرتهم. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص210؛ حمد بن لعبون، تاريخ حمد بن محمد بن لعبون، ص11؛ حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ق2، ص379.

[18] ينتسبون إلى عشيرة عبدة التي تسكن شرقي منطقة عسير في جهات وادي تثليث، وهاجرت إلى منطقة الجبل واستقرت بها وتحالفت مع أبناء عمومتها من قبيلة طيء، ثم قامت بانتزاع السلطة من بهيج زعيم زبيد وأصبحت سيدة على الجبلين، وفيما يتعلق بتسمية قبيلة شمر بهذا الاسم فعلى ذلك اختلاف فمنهم من يقول: إن شمر رجل وهو جد هذه القبيلة، والآخر يقول: إن شمر وصف لهم من باب القوة والشجاعة. انظر: مشعل المفضلي، الصلات الحضارية بين جبل شمر وجنوبي العراق، ص88–92.

[19] جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص 162؛ عقيل القويعي، أقوال ومسائل في أخبار منطقة حائل، ص 24.

[20] ألويس موزل، عن التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية، ص 128–129.

[21] يوليوس أويتنج، رحلة داخل الجزيرة العربية، ص81؛ سليمان الدخيل، إمارة آل رشيد، ص585.

[22] ياسمين كامل، جغرافية منطقتي الجوف وحائل في كتابات الرحالة الغربيين، ص92.

[23] سليمان الدخيل، إمارة أل رشيد، ص585.

[24] فهد العريفي، هذه بلادنا حائل، ص60.

[25] عبد الرحمن السبيت وآخرون، منطقة حائل، ص81–82.

[26] انظر هذه القلاع والأسوار الدفاعية في: حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين؛ جبار عبيد، التاريخ السياسي لإمارة حائل 1835–1921م، ص19.

[27] رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص169–170.

[28] عبدا لله العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص40.

[29] ساير الشمري، الأحوال السياسية في حائل في عهد إمارة عبد الله بن علي ابن رشيد، ص34.

[30] من بني تميم والمتحمسين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، قام بالعديد من الغزوات لصالح الدولة السعودية حتى أصبح أقوى شخصية في منطقة القصيم. انظر: عبد الله العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص41–42.

[31] عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج2، ص40.

[32] ساير الشمري، الأحوال السياسية في حائل في عهد إمارة عبد الله بن رشيد، ص74–76.

[33] من أهم هذه الأحداث النزاع الذي حدث بين شمر وعنزة وهجرة مطلق الجربا وأتباعه إلى العراق. انظر: عبد الله العثيمين، المرجع السابق، ص75؛ ساير الشمري، المرجع السابق، ص81.

[34] عبد الله البسام، تحفه المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، ص326.

[35] عثمان بن بشر، المصدر السابق، ج2، ص239؛ عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص125–133.

[36] خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، ج1، ص118.

[37] سليمان الدخيل، إمارة أل رشيد، ص 585– 486.

[38] خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج 1، ص 117.

[39] تقصد الأمير محمد. انظر: رحلة إلى بلاد نجد، ص 223.

[40] حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص58.

[41] عبد الله العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص22–27.

[42] شرف البركاتي، الرحلة اليمانية، ص155.

[43] جبار عبيد، التاريخ السياسي لإمارة حائل 1835–1921م، ص20–21.

[44] عبد الله العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص79.

[45] إبراهيم الصغير، منطقة حائل دراسة إقليمية، ص97.

[46] رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص199.

[47] المصدر السابق نفسه.

(72) قبيلة عتيبة من القبائل عريقة النسب وهي أحد بطون بني سعد بن بكر بن هوازن بن منصـــور بن عكرمة بن حفص بن قيس عيلان، ومنازلهم في بلدة بقعاء بين عامي 1080–1090هـ / 1669– 1679م . انظر: صـــقر العتيبي، نســب قبيلة عتيبة، ص16–؛ محمد البســـام، عشـــائر العرب الدرر المفاخر في أخبار الأواخر، ص68.

(73) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج2، ص191؛ ساير الشـمري، الأحوال السياسية في حائل في عهد إمارة عبد الله بن رشيد، ص27–28.

(74) رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص151.

(75) رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص232.

(76) عبد الله العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص28–29.

(77) رحلة كارلو غوارماني، نقلًا عن عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شـمال وسـط الجزيرة العربية، ج1، ص198–199؛ حمد الجاسـر، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، ق1، ص406.

(78) جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص140–170.

(79) عثمان بن بشـــر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج1، ص159؛ حمد الجاسر، المعجم الجغرافي، شمال المملكة، ق2، ص855.

(80) فهد العريفي، هذه بلادنا حائل، ص78.

(81) المرجع السابق، ق1، ص78.

(82) جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص175–177؛ شـــارل هوبير، رحلة في صـحراء الجزيرة العربية الوسـطى، ص201–203؛ فهد العريفي، هذه بلادنا حائل، ص32–38.

(83) جورج فالين، المصـدر السـابق، ص120–121؛ رحلة وليم بلجريف نقلا عن عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شـــمال وســـط الجزيرة العربية، ج1، ص134–138.

(84) رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص77–176.

(85) المصدر السابق نفسه، ص119.

(86) المصدر السابق نفسه، ص120–121.

(87) المصدر السابق نفسه، ص173.

(88) نقلا عن عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شـــمال وســـط الجزيرة العربية، ج1، ص156–158.

(89) رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص211.

(90) يوليوس أويتنج، رحلة داخل الجزيرة العربية، ص180؛ عوض البادي، المرجع السابق، ج1، ص136.

(91) اســـمه إيليا بن رحامين يهودي الأصـــل من بغداد، انتقل إلى حائل عام 1280هـ/ 1869م واعتنق الإســـلام. انظر: يوليوس أويتنج، المصـــدر الســـابق، ص200.

(92) تشـــارلز داوتي، المصـــدر الســـابق، ص198–199؛ يوليوس أويتنج، المصدر السابق نفسه.

(93) فهد العريفي، هذه بلادنا حائل، ص115–116.

(94) جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص140؛ يوليوس أويتنج، رحلة داخل الجزيرة العربية، ص108.

(95) انظر: عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص158.

(96) رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطي، ص159.

(97) المصدر السابق نفسه 163.

(98) قيل سـميت بذلك اشـتقاقًا من كلمة اللبود في المكان أي الإقامة أو بمعنى اللصـــوق؛ لأنهم متضـــامنون في آراءهم ومتماســـكون. انظر: جبار عبيد، التاريخ السياسي لإمارة حائل، ص24.

(99) سعد العفنان، معالم مدينة حائل وجمالها الطبيعي، ص105.

(48) انظر: عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص111.

(49) انظر: المرجع السابق، ص197.

(50) رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص232.

(51) رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطى 1878 – 1882م، ص159.

(52) انظر: عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص111.

(53) انظر: هؤلاء الباحثون في جبار عبيد، التاريخ الســـياســـي لإمارة حائل، ص23–24.

(54) ومن هذه القرى قفار – جبة – عُقدة –موقق– اللقيطة – قنا – الوقيد – البدع – الوســيطة –جفيفاء–الكهفة– أم القلبان وغيرها. انظر: جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص175–184؛ شـارل هوبير، رحلة في صـحراء الجزيرة العربية الوسطى، ص159–161.

(55) جورج فالين، المصـدر السـابق، ص171–184؛ تشـارلز داوتي، رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص232.

(56) جورج فالين، المصدر السابق، ص175؛ تشارلز داوتي، المصدر السابق، ص182.

(57) يوليوس أويتنج، رحلة داخل الجزيرة العربية، ص88.

(58) انظر رحلة وليم بلجريف عام 1279هـ/ 1862م، نقلًا عن عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص104.

(59) وقد سميت بذلك نسبة إلى بئر، وقد أسـهبت الرحالة آن بلنت في وصـفها ووصف أهلها. انظر: رحلة إلى بلاد نجد، ص150.

(60) وهي سلسلة وديان صـغيرة تضم عشر قرى. انظر: جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص171؛ شـارل هوبير، رحلة في صـحراء الجزيرة العربية الوسطى، ص161.

(61) رحلة إلى بلاد نجد، ص174.

(62) رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص139.

(63) تشـــارلز داوتي، رحلات تشـــارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص232، يوليوس أويتنج، رحلة داخل الجزيرة العربية، ص83–84.

(64) آن بلنـت، رحلـة إلى بلاد نجـد، ص167، عوض البـادي، الرحالـة الأوروبيون في شـمال وسـط الجزيرة العربية، ج1، ص149–158، شـارل هوبير، المصدر السابق، ص55.

(65) عبد الرحمن السبيت وآخرون، منطقة حائل، ص58–60.

(66) سـبقت الإشـارة إليهم. انظر: رحلة وليم بلجريف، نقلًا عن عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص151.

(67) بنو أسـد قبيلة عظيمة الشـأن من عدنان تنسـب إلى أسـد بن خزعة بن مدركة ابن اليأس بن مضـر بن نزار، وكانت منازلهم في الجزء الجنوبي من المنطقة في سميراء. انظر: عمر كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج1، ص21؛ سعد العفنان، حائل وعبقرية المكان، ص79.

(68) تنسـب إلى رجل اسـمه تميم وهو جد لهذه القبيلة، حيث أنجب ثلاثة أبناء، فأصـــبح لكل اسـم من هؤلاء الأبناء بطن من بطون تميم وهم الحارث وعمرو وزيد منـاة. انظر: فؤاد حمزة، قلـب جزيرة العرب، ص132؛ أحمـد الجـدع، تـاريخ تميم وأنسابها، ص16 .

(69) تشارلز داوتي، رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص232.

(70) جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص 210.

(71) بنو خالد أســرة عريقة في شــرق الجزيرة العربية وقد هاجرت منهم أســرة الخشـيمات، وانتقلت من منطقة الإحسـاء إلى الجبل خلال النصـف الثاني من القرن 12هـ / 18م، وكان استقرارهم في بلدة قفار. انظر: خليف الشمري، إمارة جبل شمر في عهد طلال بن عبد الله آل رشيد، ص500–501.

[133] رحلة كارلو غوارماني . انظر: عوض البادي، المرجع السابق، ج1، ص184–185.

[134] تشارلز داوتي، رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص195.

[135] رحلة وليم بلجريف. انظر: عوض البادي، المرجع السابق، ج1، ص149؛ المصدر السابق، ص200.

[136] وهو أنواع: الأحمر الصغير يسمى جبي، والأبيض زبيدي.

[137] شارل هوبير، رحلة في صحراء الجزيرة العربية، ص195.

[138] جورج فالين، المصدر السابق، ص155–157، تشارلز داوتي، المصدر السابق، ص207، عوض البادي، المرجع السابق، ج2، ص585.

[139] يوليوس أويتنج، رحلة داخل الجزيرة العربية، ص215.

[140] رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص200.

[141] انظر: عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص186.

[142] العباءة: هي رداء طويل الأكمام تصنع من الصوف، والكوفية هي: الطاقية التي ترتدى على الرأس. انظر: تشارلز داوتي، رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص231–232؛ شارل هوبير، رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطى، ص350؛ عوض البادي، المرجع السابق، ج2، ص580.

[143] شارل هوبير، رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطى، ص302.

[144] انظر: عوض البادي، المرجع السابق، ج21، ص199.

[145] المرجع السابق، ج1، ص150.

[146] رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص198.

[147] انظر: عوض البادي الرحالة والأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص186.

[148] وقد ذكر ذلك الرحالة وليم بلجريف في رحلته عام 1279هـ/ 1862م . انظر: المرجع السابق، ج1، ص119.

[149] انظر: عوض البادي الرحالة والأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص196.

[150] المرجع السابق، ج1، ص119.

[151] وقد وصف النساء بقوله: "وللنساء بشرة برونزية تشبه المصريات في قرى النيل، ولهن عيون لوزية براقة، وأيديهن وأقدامهن يمكن أن يجعلن أية فتاة جريئة وأنيقة من مدينة ليون أو مدينة باريس الفرنسيتين تشعر بالغيرة، ومعالم أجسادهن تبز معالم تمثال فينوس ألهه الحب أو المخلوقات الرشيقة في مدينتي جنوى وبرادير الإيطاليتين، وشعورهن الطويلة السوداء اللماعة تدهن بزيت لا رائحة له ، يتألف من دقيق لحاء النخيل ودهن مصفى يستخرج من أليات الأغنام، ولا شك أن هذا الدهن العطري البسيط وغير المؤذي الذي يكسب نساء نجد شعرًا رائعًا سيجلب البسمة إلى شفاه الأوروبيات الحزينات ذوات الشعر الخفيف". انظر المرجع السابق، ج1، ص196–199.

[152] رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص181.

[153] رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطى، ص221.

[154] يوليوس أويتنج، رحلة داخل الجزيرة العربية، ص735.

[155] تشارلز داوتي، رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص216.

[156] ويقصد بالذبائح: ما يذبح من الأنعام سواءً من الغنم أو البقر أو الإبل. انظر: رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطى، ص230.

[157] يوليوس أويتنج، رحلة داخل الجزيرة العربية، ص722– 726 – 732.

[158] المصدر السابق، ص722؛ عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص182.

([159]) شارل هوبير ، رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطى ، ص251 .

([160]) أنظر : مخطط المنزل في حائل ، يوليوس أويتنج ، رحلة داخل الجزيرة العربية ، ص99 .

[100] فهد العريفي، هذه بلادنا حائل، ص23.

[101] عقيل القويعي، أقوال ومسائل في أخبار منطقة حائل، ص25.

[102] عبد الله العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص40.

[103] جبار عبيد، التاريخ السياسي لإمارة حائل، ص26.

[104] انظر عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص113.

[105] عبد الله العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص81.

[106] رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص145–146.

[107] المصدر السابق، ص148.

[108] المصدر السابق، ص147.

[109] رحلة وليم بلجريف نقلاً عن عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص112؛ شارل هوبير، رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطى، ص203.

[110] شارل هوبير، المصدر السابق، ص204.

[111] انظر: عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص196–199.

[112] حمود العبيد: هو ابن الأمير عبيد بن علي الرشيد , الذى أسس مع أخيه عبد الله أمارة آل رشيد في حائل (1250هـ/ 1843م–1340هـ/1921م . انظر: رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطى، ص301؛ عبد الله العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص 210.

[113] جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص147.

[114] رحلة وليم بلجريف نقلًا عن عوض البادي، المرجع السابق، ج1، ص265.

[115] رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص245.

[116] عوض البادي، المرجع السابق، ج1، ص192.

[117] انظر: المرجع السابق، ج1، ص168.

[118] رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص149.

[119] رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص177–205.

[120] جورج فالين، المصدر السابق، 149 – 150؛ عبد الله العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص83.

[121] انظر: عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص105–151.

[122] رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطى، ص45 – 46، والجدير بالذكر أن أغلب الرحالة الذين زاروا الجزيرة العربية كانوا يتظاهرون بالإسلام ويبطنون دينهم ولائهم لوطنهم وتحقيقا لمصالحهم.

[123] رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص177–180.

[124] رحلة إلى بلاد نجد، ص152.

[125] نقلا عن عوض البادي، ج1، ص188.

[126] رحلة داخل الجزيرة العربية، ص105.

[127] شارل هوبير، رحلة في صحراء الجزيرة الوسطى، ص301; فهد العريفي، هذه بلادنا حائل، ص117.

[128] شارل هوبير، المصدر السابق، ص110؛ عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص169–187.

[129] رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص199.

[130] رحلة بلجريف نقلًا عن عوض البادي، المرجع السابق، ج1، ص109.

[131] رحلة داخل الجزيرة العربية، ص210.

[132] جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص؛137 وليم بلجريف. انظر: عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص143–169.

[195] رحلة إلى بلاد نجد، ص644.

[196] عقيل القويعي، أقوال وسائل في أخبار منطقة حائل، ص117.

[197] عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1 ، ص197.

[198] رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص155.

[199] شـــارل هوبير، رحلة في صـــحراء الجزيرة العربية الوســـطى، ص39؛ عوض البادي، المرجع السابق، ج1 ، ص149–200، ج2، ص694.

[200] مشـعل المفضـلي، الصـلات الحضـارية ين جبل شـمر وجنوبي العراق، ص204.

[201] جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص138؛ يوليوس أويتنج، رحلة داخل الجزيرة العربية، ص420.

[202] من خلال تتبع سيرة المذكورين في بعض كتب الرحالة يتضح أنهما هاجرا من الجوف واستقرا في منطقة حائل واشتهرا بالحدادة وصناعة الأسلحة والمجوهرات .أنظر: رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص203.

[203] رحلة داخل الجزيرة العربية، ص450.

[204] جبار عبيد ، التاريخ السياسي لإمارة حائل ، ص125 .

[205] مشـعل المفضـلي، الصـلات الحضـارية بين جبل شـمر وجنوبي العراق، ص136.

[206] جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص136.

[207] انظر: عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص149–150.

[208] جورج فالين، المصدر السابق، ص138.

[209] انظر: عوض البادي، المرجع السابق، ج1، ص165.

[210] انظر: المرجع السابق، ج1، ص199.

[211] مشـعل المفضـلي، الصـلات الحضـارية بين جبل شـمر وجنوبي العراق، ص204.

[212] انظر: عوض البادي، المرجع السابق، ج1 ، ص159.

[213] جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص153–176؛ عبد الله العثيمين، نشـــأة إمارة آل رشـــيد، ص88؛ عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص112–185–199.

[214] رحلة في الجزيرة العربية الوسطى، ص55.

[215] رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص185.

[216] جورج فـالين، رحلات فـالين إلى جزيرة العرب، ص138–153–176؛ تشـــارلز داوتي، المصـــدر الســـابق، ص185؛ يوليوس أويتنج، رحلة داخل الجزيرة العربية، ص212.

[217] انظر: عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج2، ص629–649.

[218] جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص153 .

[219] المصدر السابق ، ص137–153؛ جبار عبيد، التاريخ السياسي لإمارة حائل، ص96–97.

[220] جورج فالين، المصدر السابق، ص137.

[221] المصـــدر الســـابق نفســـه؛ يوليوس أويتنج، رحلة داخل الجزيرة العربية، ص320.

[222] جورج فالين، المصـــدر الســـابق، ص176؛ عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص199.

[223] رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطى، ص190.

([224]) جورج فالين ، رحلات فالين إلى جزيرة العرب ، ص156 ; تشارلز داوتي ، رحلات تشـــارلز داوتي في الجزيرة العربية ، ص181 ; آن بلنت ، رحلة إلى بلاد نجد ، ص167–168 .

---

[161] انظر: عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص111–159.

[162] المرجع السابق، ج1، ص156 – 159.

[163] رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص173 – 174.

[164] رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص204.

[165] انظر عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص148–159 ; فهد العلي، هذه بلادنا حائل، ص123.

[166] المصدر السابق، ص178.

[167] رحلة إلى بلاد نجد، ص152.

[168] انظر: عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص184–185.

[169] رحلات تشـــارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص197؛ يوليوس أويتنج، رحلة داخل الجزيرة العربية، ص722.

[170] رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص204.

[171] انظر: عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ج2.

[172] ياســـمين كامل، جغرافية منطقتي الجوف وحائل في كتابات الرحالة الغربيين، ص104.

[173] جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص135–170.

[174] المصدر السابق، ص184؛ فهد العريفي، هذه بلادنا حائل، ص119.

[175] عبد الله العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص83.

[176] يوجد بها أكبر مخازن التمر والذرة في المنطقة. انظر: جورج فالين، المصدر السابق، ص176.

[177] المصدر السابق، ص138 – 176.

[178] المصدر السابق، ص137– 181؛ تشارلز داوتي، رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربيـة، ص182–184–194؛ آن بلنـت، رحلـة إلى بلاد نجـد، ص150؛ شارل هوبير، رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطى، ص36.

[179] جورج فالين، المصدر السابق، ص137.

[180] الكباد: أو الأترج نوع من أنواع الفواكه الحمضيات وتشبه الليمون. أنظر: آن بلنـت، رحلـة إلى بلاد نجـد، ص150 – 173؛ يوليوس أويتنج، رحلـة داخـل الجزيرة العربية، ص104.

[181] رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطى، ص201.

[182] جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب ص137؛ يوليوس أويتنج، المصدر السابق ص104.

[183] رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطى، ص312.

[184] المصدر السابق نفسه.

[185] مشـعل المفضـلي، الصـلات الحضـارية بين جبل شـمر وجنوبي العراق، ص202.

[186] رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص137.

[187] آن بلنت، رحلة إلى بلاد نجد، ص241.

[188] تشارلز داوتي، رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص194.

[189] رحلة داخل الجزيرة العربية، ص83.

[190] آن بلنـت، رحلـة إلى بلاد نجـد، ص168؛ عوض البـادي، الرحـالـة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص197.

[191] رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية ص232.

[192] جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص156.

[193] المصدر السابق، ص158.

[194] شـــارل هوبير، رحلة في صـــحراء الجزيرة العربية الوســـطى، ص310؛ عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال ووسط الجزيرة العربية، ج1، ص197.

– ألويس موزل، عن التاريخ المعاصر لشبة الجزيرة العربية، ترجمة: ماجد شبر، لندن: دار الوراق، 2007 م.

– تشارلز. م. داوتي، رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ترجمة: عدنان حسن، ط 1، العراق: دار الوراق، 2009.

– جورج أوغست فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ترجمة: سمير سليم شلبي، بيروت: دار الوراق، 2008م.

– حمد بن لعبون، تاريخ حمد بن محمد بن لعبون، ط1، الطائف: مطبعة المدني، 1357هـ.

– خير الدين الزركلي، شبة الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1992 م.

– شارل هوبير، رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطى 1878–1882م، ترجمة: اليسار سعادة، بيروت: دار كتب، 2003م.

– شرف عبد المحسن البركاتي، الرحلة اليمانية، ط2، بيروت: 1384هـ.

– عبد الله البسام، تحفه المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق: إبراهيم الخالد، ط1، الكويت: المختلف، 2001 م.

– عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ط4، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1403هـ.

– ياقوت الحموي، معجم البلدان (د.ت).

– يوليوس أويتنج، رحلة داخل الجزيرة العربية، ترجمة: سعيد فايز، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1419هـ.

ثانيًا: المراجع:

– أحمد الجدع، تاريخ تميم وأنسابها، عمان: دار الضياء، 1419هـ.

– جبار عبيد، التاريخ السياسي لإمارة حائل (1835 – 1921م)، ط1، بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1424هـ، 2003م.

– حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط5، القاهرة: 1967م.

– حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، الرياض: دار اليمامة، 1983م.

– حمد الجاسر، المعجم الجغرافي، شمال المملكة، الرياض: دار اليمامة، 1397هـ.

– سعد خلف العفنان، حائل وعبقرية المكان، ط2، حائل: المعرفة، 1417هـ.

– سعد خلف العفنان، معالم مدينة حائل وجمالها الطبيعي، ط2، حائل: المعرفة، 1426هـ.

– سليمان العتيق، حائل قبل مئة عام، ط2، حائل: دار الأندلس، 1429هـ = 2008 م.

---

(225) انظر: عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص199.

(226) انظر: المرجع السابق، ج1، ص149–158.

(227) المرجع السابق، ص149.

(228) رحلات تشارلز دواتي في الجزيرة العربية، ص185.

(229) يقع في بلدة لبدة.

(230) رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص174.

(231) رحلات تشارلز داوتي في الجزيرة العربية، ص211.

(232) انظر: رحلة وليم بلجريف عام 1279هـ/1862م نقلًا عن عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص112.

(233) مشعل المفضلي، الصلات الحضارية بين جبل شمر وجنوبي العراق، ص245.

(234) يوليوس أويتنج، رحلة داخل الجزيرة العربية، ص145؛ عوض البادي، المرجع السابق، ج1، ص185.

(235) يوليوس أويتنج، المصدر السابق، ص312؛ فهد العلي، هذه بلادنا حائل، ص115.

(236) انظر: عوض البادي، المرجع السابق، ج1، ص122–134–136.

(237) مشعل المفضلي، الصلات الحضارية بين جبل شمر وجنوبي العرا ، ص246.

(238) رحلات تشارلز داوتي إلى الجزيرة العربية، ص202.

(239) انظر عوض البادي، المرجع السابق، ج1، ص149–185.

(240) رحلات تشارلز داوتي إلى الجزيرة العربية، ص211.

(241) جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص138–176؛ عوض البادي، الرحالة الأوربيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ص199.

(242) جورج فالين، المصدر السابق، ص 130.

(243) رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطى، ص581.

(244) عبد الله العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص90.

(245) يوليوس أويتنج، رحلة داخل الجزيرة العربية ص190.

(246) جورج فالين، المصدر السابق، ص139–144.

(247) رحلة داخل الجزيرة العربية، ص215.

(248) جورج فالين، المصدر السابق، ص143–144.

(249) وقد عرفها الرحالة يوليوس بقوله: "إنها حملة بدوية للنهب والسلب أو الحرب ويمكن القيام بها من قبل مجموعة أفراد من البدو متحدين". انظر: رحلة داخل الجزيرة العربية، ص290.

(250) انظر: عوض البادي، المرجع السابق، ج1، ص105–200؛ جورج فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص138.

(251) عبد الله العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص91.

(252) الخاوة مبلغ معين من المال أو ما يحددونه من تمر أو غيره تدفع للأمراء بموجبها لا يشملهم الغزو. انظر: عوض البادي، الرحالة الأوربيون في شمال وسط الجزيرة العربية، ج1، ص200.

(253) انظر: رحلة داخل الجزيرة العربية، ص310.

(254) الصاع: وحدة قياس تستخدم لقياس الحجم ويساوي لترين ونصف. انظر: عوض البادي، المرجع السابق، ج1، ص197.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر:

– الليدي آن بلنت، رحلة إلى بلاد نجد، ترجمة: محمد أنعم غالب، ط 2، الرياض: دار اليمامة، 1389هـ = 1978م.

– محمد الحمد، حائل في عيونهم، حائل: نادي حائل الأدبي الثقافي، 1429هـ.

– ياسمين كامل، جغرافيا منطقتي الجوف وحائل في كتابات الرحالة الفرنسيين، ط1، الرياض: مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، 1431هـ = 2010م.

ثالثًا: الرسائل العلمية والدوريات:

- إبراهيم الصغير، منطقة حائل دراسة إقليمية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1405هـ.
- ساير غربي الشمري، الأحوال السياسية في حائل في عهد إمارة عبد الله بن علي بن رشيد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القصيم، 1430هـ.
- عبد الرحمن السبيت وآخرون، منطقة حائل الرياض مجلة الدارة، س3، ع3، 1403هـ = 1983م.

– صقر العتيبي، نسب قبيلة عتيبة، دراسة وثائقية لأصولها وفروعها، لبنان: الدار العربية للموسوعات، 2012م.

– عبد الله العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ط2، الرياض: 1411هـ.

– عقيل القويعي، أقوال ومسائل في أخبار منطقة حائل، ط1، الرياض: مطابع النموذجية، 1415هـ.

– عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديم والحديثة، ط7، بيروت: دار الرسالة، 1414هـ.

– عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية، منطقة حائل 1845–1921م، ط1، حائل: نادي حائل الأدبي الثقافي، 1435هـ = 2014م.

– فهد العريفي، هذه بلادنا حائل، ط2، الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب، 1408هـ.

– فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ط1، بورسعيد، الثقافة العربية، 1423هـ.

– مشعل مهجع المفضلي، الصلات الحضارية بين جبل شمر وجنوبي العراق، ط2، بيروت: جداول، 2016م.